

مَصْرُ قَاهِرَةِ الْمَخُولِ فِي عَيْنِ جَالُوتَ

دكتور محمد فتحي الشاعر

كلية الآداب - جامعة المنوفية

يطلب من دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina

مَصِيرُ قَاهِرَةِ الْمَخْوَلِ فِي عَيْنِ جَالُوتَ

دكتور محمد فتحي الشاعر

كلية الآداب - جامعة المنوفية

يطلب من دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قهرت مصر المغول فى موقعة عين جالوت ، بعد ان اشاع هؤلاء الغزاة الخراب والدمار والقتل فى اراضى المسلمين فى عدة دول وممالك فى المشرق الاسلامى . وتمكنت مصر من الحاق هزيمة فادحة بالمغول فى الوقت الذى اعتقد فيه بعض ملوك الشام وغيرهم أنه من الصعب جداً التصدى للمغول ، وأن جيش المغول يصعب هزيمته ، وذلك لأن المغول اتصفوا بالوحشية والهمجية والتخلف والتعطش لسفك دماء الأبرياء ، والتمتع باذلال القادة والحكام الآخرين . فهم الذين قتلوا الخليفة العباسى ببغداد .

وشاء الله العلى القدير أن تدافع مصر عن العروبة والاسلام وترد كيد المغول الى نحورهم ، وطردهم الى غير رجعة من بلاد الشام وغيرها من ديار المسلمين . ومصر أيضا هى التى تصدت بصبر وثبات للعدوان الصليبي عنيها وعلى بلاد الشام الى أن طردتهم وقذفت بهم الى البحر يجرون أذيال تهزيمة والعار وذلك بفضل شعبها القوى الصامد .

وفى صفحات هذا البحث المتواضع يرى القارئ الكريم معلومات مرجزة عن المغول ، وعن جنكيز خان ، الذى أقام امبراطوريتهم ، وعن دستورهم الذى حرص على السير وفقاً لما ورد به . ثم انتقلت الى معركة عين جالوت انفاصلة ، التى قادها جيش مصر ، وشعب مصر ، وأنتصر فيها بعون الله سبحانه وتعالى ، وبذلك حمت مصر ديار الاسلام .

والله الموفق والله أكبر والله الحمد

الاثنين ٢٥ من صفر ١٤١٦هـ

٢٤ يولية ١٩٩٥م

دكتور محمد فتحى الشاعر
كلية الآداب - جامعة المنوفية

الفصل الأول

من المغول ؟

أصل المغول :

كان المتبع فى عهد جنكيزخان وفى عهد أبنائه من بعده أن يحتفلوا أول يوم من كل عام لاعتقادهم أن أجدادهم استوطنوا هضبة منغوليا منذ العصور الغابرة وأنهم تعرضوا للقتل عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم سوى رجلين وامرأتين استطاعوا الهرب الى منطقة خصبة اسمها ارجين كون Erguene-Coun ، ثم تناسلوا وكثر عددهم ، ووصلوا الى ضفاف أنهار الأونوان ، وكيراولان ، وتوجولا تولا ، وكان ذلك فى القرن الثامن الميلادى (١) .

موطن المغول :

قال الجوينى فى كتابه (جهان گشا) ان المغول عاشوا فى واد غير ذى زرع ، تزيد مساحته طولا وعرضا عن مسيرة سبعة أو ثمانية أشهر ، تحده من الناحية الشرقية بلاد الختاي ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور ، ومن الشمال بلاد القيرغيز ، ومن الجنوب التبت والتنكوت ولم يكن لهم قبل ظهور جنكيز خان سيد أو حاكم . ولم يكن المغول يعيشون فى تلك المنطقة وحدهم ، بل كانت تجاورهم أقوام التتار والترك ، وتقع هذه المنطقة الشاسعة فى وسط آسيا وتمتد حاليا من نهر الفولجا الى بحر اليابان ، وتحدها سلسلة الجبال التى تفصل آسيا الصغرى عن سيبيريا شمالا ونهر سيمون وبحر الخزر جنوبا ، وقد عاشوا جميعا عيشة بدواة وارتحال (٢) .

ما الفرق بين المغول والتتار ؟

التتار قوم مختلفون عن المغول ، وقد اعتادت كتب التاريخ من عربية أو فارسية أو صينية أو أوربية ذكر المغول قبل خروج جنكيز خان على أنهم التتار . ويقول فؤاد كويرلو أنهم كانوا يطلقون على أنفسهم

فى هذا العصر لقب التتار . واسم التتار معروف منذ زمن بعيد ، وكانوا يقيمون بجوار الختاي ، وأكثر المواضع التى كانت مخصصة لهم هى منطقة بوير ناوور ، وكانوا ينقسمون الى قبائل كثيرة ، وكانت جموع ديارهم سبعين ألف بيت ، وكانوا فى أغلب الأحيان خاضعين للختاي ، وقد نشبت بين هؤلاء الأقوام حروب استمرت سنوات ، وكانوا قد سيطروا منذ زمن بعيد على كثير من القبائل والمناطق ، ونتيجة لمنزلتهم هذه كان جميع الأتراك على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وأسمائهم قد اتخذوا لأنفسهم هذا الاسم واشتهروا به ، وسموا جميعا باسم التتار . وذلك ما يحدث الآن بواسطة جنكيزخان وأرومته . فلما كانوا من المغول ، فان سائر الأقوام الأخرى من تركية وتترية مثل الجلايرين والأويرات ، والكرابت والنايمان ، والتنفوت وغيرهم ، الذين كان لكل واحد منهم اسمه الخاص به قد أطلقوا على أنفسهم اسم المغول تفاخرا ، رغم أنهم كانوا يستنكفون من هذا الاسم قبل ذلك ، وأبناؤهم وذرياتهم الموجودون الا يعتقدون أنهم كانوا يسمون المغول منذ زمن بعيد ؟ ولا يعرفون ان المغول لم يكونوا فى الماضى سوى قوم صغير من مجموعة الأقوام التى تسكن الصحراء (٣) .

وظهرت للمغول شعوب كبيرة وخاصة منذ زمن الآن قوا الذى يزيد على ثلاثمائة عام ، ظهر لهم نسل كثير يطلقون عليهم اليوم اسم أقوام نيرون ، وعلا أمرهم وارتفعت مكانتهم وعرفوا جميعا باسم المغول ، ولم يكن يطلق على سائر الأقوام الأخرى فى ذلك الوقت اسم المغول نظرا لتقارب أشكالهم وعاداتهم وصفاتهم ولهجاتهم ، ولأنهم عاشوا فيما بينهم ، وهؤلاء الأقوام هم الختاي وحورجه ، والايفور ، والقيقان ، والتركمان ، والقاريوق وأقوام التاحيك فقد رأت هذه الأقوام فى اطلاق هذا الاسم عليها فائدة كبرى لها (٤) .

ويرى الكثيرون أن اسم التتار مشتق من اللغة الصينية اذ كانت هناك قبيلة مغولية يطلق عليها اسم « تاتا » أو « دادا » أو « تاتان » تسكن منطقة مانجوريا ، وشمال شرقى منغوليا فى القرن الخامس الميلادى . وكانت بعض اللهجات الصينية التى يتوفر فيها صوت (ر) تطلق عليها

« تترتار » أو « تترار » . وقد تميزت تلك القبيلة بروح قتالية عالية ، مما جعلها تهدد القبائل المغولية المجاورة أو القسرية منها ، وتزعج الصينيين أنفسهم . وكانت غارات قبائل تاتار تجلب للصينيين الأقوياء كثيراً من التعصب والعناء ، لذلك كان الصينيون يقصصون تصويرهم بالبرابرة الهمجيين . وقد أطلق مؤرخو الصين هذا الاسم فيما بعد على الشعوب الشمالية المجاورة لها ، أو على الشعوب المعادية لها بصفة عامة ، وكان منها قبائل غير مغولية الأصل من منطقة آسيا . وبفضل خفة يد الصينيين انتقل اسم التترار كمرادف للبرابرة المنتوحشين الى المصادر العربية والفارسية ثم الأوروبية (٥) .

وقد أعلن القائد المغولي جنكيزخان عن شدة غضبه على قبائل تاتار بقوله : « كان التترار يقتلون آبائنا وأجدادنا من قديم الزمان ، فسوف نأخذ بثأر السلف » . وجمع جنكيزخان كل جيوشه ، وقضى بالفعل على تلك القبائل . ويقول كيتشانوف المؤرخ السوفيتى لتاريخ المغول : « هكذا تم القضاء على قبيلة تترار قبل ظهور المغول على مسرح التاريخ ، تلك القبيلة التى تركت مجرد اسمها يطلق على جميع القبائل المغولية . وعقب مرور ما يقرب من ثلاثين عاما ارتفع صياح (التترار !) أثناء مجازر المغول فى مدن وقرى الغسرِب النائية ، مع أن التترار لم يبق منهم فى جيوش الغزاة الجارفة الا القليل ، ولم يبق منهم الا الاسم الذى كان يثير الرعب بين الشعوب المختلفة ، بينما هم أنفسهم كانوا مدفونين منذ زمن بعيد فى تراب أوطانهم » . لقد أصدر جنكيزخان أمراً بمنع استخدام اسم التترار الذى كرهه من أعماق قلبه . وحينما قام الرحالة الأوروبى روبروك (Rubruk) بزيارة جيوش المغول ١٢٥٤م حذروه بشدة من ذكر اسم التترار أمام المغول ، لكن هذا الاسم كان قد انتشر فى ذلك الوقت انتشارا واسعا شمل مناطق آسيا وأوروبا بكافة بلادها حتى المحيط الأطلنطى ، ولم تستطع مثل هذه الاجراءات الادارية أن تمحو هذا الاسم من ذاكرة الشعوب (٦) . وكانت حروب جنكيزخان مع قبائل التترار فى ربيع ١٢٠٢م ، وانتصر عليهم ، وبعد هزيمة التترار قرر جنكيزخان ابادتهم جميعا ، وخاض معهم معارك شرسة وأخضعهم جميعا لحكمه (٧) .

القبائل المغولية القديمة :

أمدتنا مؤلفات التاريخ الصينيين ببعض الحقائق التاريخية عن القبائل المغولية قبل الميلاد - فذكرت أن السبب في إقامة سور الصين العظيم قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف قرن إنما يرجع إلى كثرة هجمات هؤلاء البدو من سكان وسط آسيا . فقد تعودوا شن غزواتهم على شمال الصين ، وأخذ الاسلاب والغنائم . ولقد نجح حكام الصين في صد خطرهم عن طريق مهادنة البعض ومسالمتهم واتخاذهم مخالف قط ضد بني جنسهم . وعلى الرغم من عظمة اتساع بلاد الصين ، فإن هذا السور كان يضم داخله كل الأراضي الصينية إذ أنه : « لم ينقطع الا عند الجبال المنيعه » (٨) .

ومن أهم الأمم المغولية القديمة أمة النيمان Naimans وكانت كبيرة العدد ، وأمة الكريت Keraites ، وأمة المركيت Merkites وأمة الويرات Ouirates ، وأمة الجلاير Djelaires ، وقبائل الأوراسوت Orassoutes ، والتيجسوت Taidjoutes وقبائل البارجوت Bargoutes . وما يخص أمة المغول من قبائلها هي البايوت ، والتيدجوت ، والكنجراتس بالإضافة إلى أمة التتار (٩) .

وكانت كل أمة مغولية تمثل وحدة متماسكة من الناحية الجنسية ، واللغوية ، وتعيش عيشة بربرية لا تعرف معنى الحضارة (١٠) .

الظروف التي مرت بها القبائل المغولية قبل ظهور تموجين :

إن القبائل التي ذكرتها يقيت فترة من الزمن قبل الميلاد وبعده تحت النفوذ الأجنبي . ويبدو أن أول هذا النفوذ الأجنبي كان متمثلاً في إمبراطورية الهينو Hiong-Nous التي كتب لها البقاء حتى ٩٣ ق م ، ثم بعد ذلك إمبراطورية السينيس Sien-Pis التي بقيت حتى ٢٣٣ م ، والتي حلت محلها إمبراطورية التوباس Les Topas حتى أوائل القرن الخامس الميلادي . وفي بداية القرن الخامس الميلادي قامت إمبراطورية الجيوجان ، وكانت السيطرة فيها لعنصر الأتراك ،

الى أن تسم للصين القضاة عليها بتحالفهم من الويغور ٧٤٤م . وحتى ٨٤٨م ظلت منغوليا خاضعة للويغور الهوى أهوى Hoeihoei . حيث كان الصينيون يطلقون عليهم ذلك الاسم . وعندما حل القرن العاشر الميلادي كانت الكلمة العليا فى منغوليا لقبائل الخطا ، ثم بعد ذلك خضعت منغوليا لاسرة كين . واسرة كين هذه كانت تسيطر على الصين الشمالية فضلا عن أملاكهم الأصلية فى كل من منشوريا ومنغوليا . وقد اتخذوا بكين عاصمة لهم . واطلق المغول على حكام اسرة كين لقب « التوخان » (١١) .

واستطاعت الأمم المغولية التخلص من حكم اسرة كين عند موت الامبراطور تاي تشج Tai Taung ١١٣٧م . وخاض زعماء المغول غمار حرب طاحنة من أجل الوحدة حتى نجحوا فى ذلك . وكانت أمة التتار اقوى من الأمم المغولية فى ذلك الحين ، حتى أن الصينيين اعتادوا أن يطلقوا اسمها على كافة الأمم المغولية . ويذكر التاريخ بعض الزعماء الذين قادوا فكرة الوحدة المغولية مثل كابل Kabul وكوبلاى Kubilai ، ويسوجاى Yesugai (وهو والد جنكيزخان) (١٢) .

ظروف معيشة الشعب المغولى :

(أ) طعامهم : نظراً لحياة المغول البدائية الرعوية وفقير بلادهم بالنسبة للمنتجات الزراعية ، فانهم كانوا يعيشون على لحوم الحيوانات مثل الخيول والأرانب البرية ، والثعالب ، والجمال الوحش ذى السنامين ، والحمار الوحش ، والغزال ، والنمور ، والأسماك التى تصاد من الجداول والأنهار . كما كان شيثاً عادياً أكل لحوم الحيوانات الميتة . وفى فصل الشتاء كانت اللحوم تؤكل بكثرة . أما فى فصل الصيف ، فلم تكن من عاداتهم أكل اللحوم الا قليلا . وفى الغالب كانت لحوماً مجففة . وطريقتهم فى تجفيفها هى أن توضع شرائح رقيقة وتترك معلقة فى الشمس والهواء لتجف ، وجدير بالذكر أنه لم يصيبها أى شئ من التلف أو التعفن . ومن المعروف أن اللبن الحيوانات وبخاصة الخيول كانت غذاء صالحاً لهم . وعرفوا صناعة الزبد والجبن . وشرابهم المحبب هو خمير اللبن وعرف باسم « القميز » Kumis الذى كان يحفظ فى

قرب بعد تقليبه بشدة بقطعة من الخشب ، وبعد استخراج الزيت منه .
وفى العادة كان خمير اللبن حامض المذاق . كما اعتادوا شرب دماء
الخيول فى حالة ندرة الطعام ، وذلك بقطع أحد أوردها ثم الشرب منها
مباشرة وتسد بعد ذلك (١٣) . وامتاز المغولى بالصبر على الجوع لعدة
أيام ، وفى مقابل ذلك امتاز أيضا بالشراهة والمقدرة على تناول ثلاثة
كيلوات من اللحم . والأسرة المغولية تتناول الطعام على دفعات الأولى :
الأقوياء ، ثم يأتى دور الشيوخ والنساء ، وأما الأطفال فكانوا يتنازعون
على العظام وفتات اللحم (١٤) . وتعود المغولى الجلد وتحمل المشاق
والصبر دون تيرم . وكانوا يضحكون برغم بطونهم الخاوية ، اذ كان
فى مقدرتهم السير مدة عشرة أيام دون أن يذوقوا الطعام ، ولم يكن يأخذ
الجندي معه من المؤن سوى قرب بها خمير اللبن (١٥) . ولم يفت المغول
الاستفادة الكاملة من صوف وشعر وعضلات وقرون وحواقر وعظام
الحيوانات . وفى ذلك يقول هارولد لام : « فمن الصوف كانوا يصنعون
أغطية خيامهم التى تشبه خلية النحل لتحميهم اذا ما هبت الريح الثلجية
ومن أوتار عضلات الحيوان كانوا يجدلون الحبال والقيود . كما كانوا
يستخدمون قرون الحيوانات فى صنع أقواس قوية » (١٦) .

(ب) ملابسهم : وطبقا للحياة البدائية الرعوية القاسية فان
انطباعاتها ظهرت قوية جليلة على ملابسهم ، بعبد أن عرفنا موارد
طعامهم . فكانت ملابسهم بسيطة للغاية . وتناسب فى شكلها ظروف
البيئة من ناحية المناخ الشديد البرودة شتاء والشديد الحرارة صيفا .
فهى مصنوعة من وبر الجمال . وأصواف الأغنام، وجلود الحيوانات (١٧) .
وعبارة عن غطاء من فرو السمور تنسدل منه حاشية من الجلد ، وذلك
لحماية الرقبة والرأس . وسروال طويل مصنوع من اللباد . واعتادوا
تغطية وجوههم بطبقة من الشحم للوقاية من الصقيع والرياح
الشديدة (١٨) . وكانت ملابس المغول قذرة ، ويبدو ذلك لعزوفهم عن
غسلها فى الماء ، لأن ذلك كان شيئا محرما من ناحية ، ولشدة برودة
الطقس من ناحية ثانية ، ولضييق ذات اليد وعدم توافر أكثر من رداء
للفرد الواحد من ناحية ثالثة . وأما فى فصل الصيف فكانوا يستبدلون
ملابسهم مرة كل شهر . وذلك الأمر كتب القلقشندى فقال : « . . . ويقال

انهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة . . . « (١٩) ومن الواضح أن عادة عدم غسل ملابسهم كانت تمثل إحدى عقائدهم طبقاً لما ورد في « الياسا الكبرى » إذ نجد المقریزی يقول : « ومنعهم من غسل ثيابهم » (٢٠) .

(ج) مسكنهم : فرضت الظروف الطبيعية من ناحية الطقس أو المناخ على أفكار المغول أن يشيدوا مساكنهم بطريقة معينة ، تختلف اختلافاً كلياً عن غيرهم من البدو والرحل . فإذا تأملنا كيفية بناء مساكنهم أو خيامهم بتعبير أدق ، والتي تعرف في لغة المغول باسم « بورت » نجد أنها كانت نصف دائرية وتشبه وعاء مقلوباً . فقد شيدت على شكل حوائط دائرية من صوف ووبر وجلود الأغنام على هياكل من ألواح الخشب ، ربطت بعضها ببعض بقطع من جلود الحيوانات . ونتيجة لذلك فإنها لا تتأثر بالرياح والعواصف الشديدة في فصل الشتاء كما أنها كانت تبعث الدفء . وأما في فصل الصيف فكانت تحميهم من شدة حرارة الشمس . وقد اعتاد المغول صناعة ما يشبه الصناديق من الصوف المقوى والمطين والمغطى بطبقة من شحم الحيوانات لحفظ متاعهم ، وحاجياتهم النيرة كانوا يخشون أن يصيبها التلف بفعل الأمطار ، أو عند عبور الأنهار . وقد اختلفت بيوتهم في حجمها فبعضها صغير يكفي لنقله ثور واحد أو جمل واحد ، والبعض الآخر كبير يحتاج إلى عربات يجرها اثنان وعشرون ثوراً . وفي العادة كانت أبواب بيوتهم تتجه ناحية الجنوب ، تجنباً لرياح الشمال والغرب القارسة . واعتادوا أن تظل النار مشتعلة وسط البيت لجلب الدفء والحرارة . وأثاث البيت كان في غاية البساطة ، وعلى الجدران الداخلية عُلقت الأسلحة والأواني الجلدية المستعملة لحفظ الألبان ومستخرجاتها . والجزء الداخلي المواجه للباب كان مخصصاً لخدم الخيمة ، والجانب الغربي للرجال ، أما الشرقي فكان للنساء (٢١) . وعلى مقربة من الخيمة اعتاد الرجال ، والفتيان ، والأصدقاء الجلوس على مقاعد في غاية البساطة ، وأما النساء فكان يجلسن عن بعد في جانب آخر (٢٢) . وعن ملابسهم وبساطتها وطريقة المحافظة عليها نجد هارولد لام يقول : « وكان من السهل تعبئة كل ملابس المغول وأوعيتها في صناديق من الجلد أو لفيفات اسطوانية » (٢٣) .

لمحة سريعة عن صفات المغول البدنية والأخلاقية :

مما لا شك فيه أن أثر البيئة ظهر واضحاً جلياً على تكوين المغول من الناحية البدنية . فقد عرف الشخص المغولى بالرأس الكبير ، والوجه العريض النحيل ، وعظام الخد البارزة ، والعيون الصغيرة ذات الجفون المسترخية ، والأنف المسطح ، والشفاه العريضة ، والأسنان القوية ، والرقبة القصيرة ، والصدر الكبير ، والساقين القصيرين المعوجين ، والقامة القصيرة ، والبشرة الصفراء السميقة . وامتازوا بالصبر والجلد ، والجرأة فى الحق ، وابداء الرأى دون خوف ، والصراحة التامة . وتلك صفات أخلاقية امتاز بها المغول ، وهى كما يبدو صفات حربية نتيجة لأثر البيئة القاسية حيث أن حياتهم كانت دائماً صراعاً مع الطبيعة من أجل الحياة ، وصراعاً مع بعضهم البعض من أجل الحياة أيضاً (٢٤) .

ديانة المغول :

اعتنق المغول الديانة الشامانية Shamanism وهى ديانة وثنية ، وهى تتلخص فى عبادة كل شئ يسمى على مداركهم ، ويصعب على فهمهم ، فكان لهم آلهة فى النهر ، والجبل ، والشجرة الكبيرة ، والشمس ، والقمر ، والبرق ، والرعد ، وعبدوا أرواح أجدادهم ، وآمنوا بالقوى السحرية ، واعتقدوا بالتنجيم (٢٥) .

ويقول الدكتور مصطفى طه بدر (٢٦): « كما أن المغول كانوا يصنعون من الصوف أشكالاً آدمية يضعونها فى بيوتهم ، أو أمامها ويعتقدون أنهم بذلك يبعدون الشر عنها ويزيدون الحيوانات فيها ويدرون ألبانها . ومما يذكرونه فى هذا السبيل أن كل مغولى كان عنده فى بيته دميات من القماش تمثله وزوجته وأولاده ، فإذا أكل هو وأهل بيته أتى بتلك الدميات ولوث فمها بالدهن الذى يستخرجه من اللحم ، كما أخذ شيئاً من الحساء ورشه أمام البيت ، وبذلك يعتقد أن الآلهة وزوجته وأولاده شاركوه فى غذائه » .

معاملة المغول لمرضاهم وموتاهم :

بلغ المغول أقصى درجات القسوة وتعجز القلب ، حتى مع بعضهم

البعض ، فلم يرحموا مريضاً ، ولم يعترفوا بحرمة للموتى ، وكان يبدو أن ذلك كان أمراً عادياً بالنسبة اليهم ، ولذا لا يصح أن نندهش ، عندما نعلم أن قسوتهم ظهرت فيما كانوا يعاملون به أعداءهم بعد الانتصار . فقد كانوا لا يتركون أحداً على الإطلاق على قيد الحياة ، امرأة كانت أم جنيناً . وخير شاهد على ذلك يبدو فى معاملتهم لمرضاهم وموتاهم . فيقول الدكتور مصطفى طه بدر (٢٧) : « وعندما يمرض أحد من المغول يوضع فى مرقده ، وتوضع علامة على مسكنه تشير الى وجود مريض فى الداخل والى عدم دخول أحد عليه . ولا يزور المريض أحد أبداً الا من يتولى خدمته . وتوضع حربة خارج الخيمة كما يلقون حولها قطعة من الصوف الأسود ، وبذلك لا يجرؤ غريب على دخولها . وعندما يشتد بالمريض مرضه يتركه الجميع لأنه ليس مصرحاً لمن يشاهد موته أن يدخل مسكن أى عظيم أو قصر أى امبراطور حتى يبرز القمر الجديد ، فكانهم ينظرون الى المريض نظرتهم الى ملوث نجس . وليت الأمر وقف عند هذا الحد من القسوة بل انه اذا هرم الأب أعطاه ابنه مادة دهنية مثل ذل الشاة ليأكلها فتضغط عليه وتخنقه . وأنهم كانوا عندما يموتون يحرقون أجساد موتاهم ، ويجمعون بقاياها ليرشوا بها على طعامهم عندما يتناولون الطعام كل يوم » .

جنكيزخان

نسبه :

ان اسم تموچين Temydjin أطلق على جنكيزخان عند ولادته ، وظل محتفظاً به حتى صار له شان عظيم بين قومه وعشيرته . ويرجع السبب في هذه التسمية الى أن والده هو الذى أطلق عليه هذا الاسم ، وهذا الاسم كان يحمله أحد أعدائه الأسرى . ويبدو من ذلك أنه كان من عادة المغول تسمية أبنائهم باسم أعدائهم الذين ينتصرون عليهم . وأما هذا العدو والأسير فهو « تموچين ايجه » الذى أسر مع أخيه كور بوكا Kur Buka ، بعد أن انتصر عليهما والسده يسوجاي بهادر فى (١١٥٤ - ١١٥٥ م) حينما أعد جيشاً لمحاربة التتار (٢٨) . واسمه تموچين معناه « الحديد » (٢٩) ، أو القوى الصلد (٣٠) ، أو الصلب المتين (٣١) . ومما هو جدير بالذكر أن تموچين ولد ١٢٥٠/١٢٥١ هـ (١١٥٤ - ١١٥٥ م) ، وتوفى ١٢٢٤/١٢٢٧ م (٣٢) .

وأما عن نسبه من ناحية أبيه فهو تموچين بن يسوكاي بن بهادر بن تومان وينتهى نسبه الى امرأة تدعى « الآن قوا » . وهذه السيدة كانت بعد أن أنجبت ومات زوجها ، ادعت أنه حدث لها ما حدث لبريه ابنة عمران . وبرغم وضوح هذه الأكذوبة وقبحاتها فإن شعبها صدقها بعد أن تنبأت بأنها ستلد ثلاثة ذكور دفعة واحدة . وعرف أولادها الثلاثة بنزول المغول باسم « النورانيين » نسبة الى النور الذى ادعت أنها حملت منه (٣٣) .

أما عن نسبه من ناحية والدته فاسمها « أولون ايكه » Ogelen Eke ومعناها فى لغة المغول « أم الأمم » (٣٤) . وكانت قبل أن يتزوجها « يسوجاي بهادر » حديثة العهد فى الزواج من رئيس قبيلة التتار ، وكان يدعى « يك يلاتو » Yoke Yilatu ، فقد استطاع يسوجاي أن يضمها الى حريمه بأن يأخذها عنوة وبالقسوة من زوجها أثناء مقابلة بالصدفة تمت حينما كان « يسوجاي » ومعه أخواه يقومون باقتناء أثر إحدى الأرانب البرية البيضاء على الجليد ، وكانت « أولون ايكه » فى

تلك اللحظة في خيمتها الصغيرة « Yurt » . ويبدو أن يسوجاي بهادر اعجب بشخصيتها ، حيث قال لأخويه ، بعد نظرتة الأولى لها : « ان هذه السيدة سوف تلد ابنا رابط الجاش وصنديداً » (٣٥) . ولشدة ذكائها فهمت مرمى « يسوجاي » فأشارت على زوجها «يك بلاتو» بالهروب حفاظاً على حياته بعد أن ألقت اليه بقميصها علامة على استمرار وفائها له ، وأنها سوف تقاوم وتعود اليه في يوم من الأيام (٣٦) .

ومن الطريف أن بعض المراجع ذكرت أنه قد وجدت قطعة متجمدة من الدماء بين أصابع « تموجين » وأن بعض الحاضرين عندما علموا بذلك أجمعوا على أنه سوف يكون له شأن عظيم ، ومستقبل ملطخ بالدماء (٣٧) . ولم تكن « أولون ايكيه » المرأة الوحيدة في حياة « يسوكاي » بل طبقاً لعادة المغول متزوجاً من سيدات كثيرات . وكانت « أولون » هذه أكثرهن قرباً الى قلبه وعقله لجمالها وذكائها وقوة شخصيتها . وكان لـتموجين ثلاثة أخوة أشقاء ولدوا بعده . وهم : جورجي قسار الذي تمتع بقوة بدنية غير عادية ، وقاجيون الذي نال درجة عظيمة من الشهرة لرجاحة عقله ، ولجوء القوم اليه للاستشارة ، وتمو أتكجن والذي اشتهر بالميل للعمرة والتشييد (٣٨) .

تموجين في مرحلة الطفولة :

ولد تموجين في بلدة « دولون بولداق Dulun Boldag » (٣٩) . ونقع على الضفة الغربية لنهر الآونون Onon ، ويزيد ارتفاعها قليلاً عن جزيرة « ايكاي آرال Eke Aral » ومعناها الجزيرة العظيمة . ويبدو أن هذه المنطقة كانت بلا شك المكان الرئيسي ليسوجاي ، كما يبدو أيضاً أن منطقة الآونون هي أرض المهسد للمغول (٤٠) . وقضى تموجين فترة الحضانة في أحضان والدته ، وبعد فطامه كان يشرب لبن الخيول والماشية ومنذ نعومة أظفاره تغذى بلحوم الحيوانات كالخيول والكلاب والذئاب والثعالب (٤١) . وبلاد المغول لم يكن بها إلا الحيوانات الصحراوية مثل الجمل المتوحش ذى السنامين ، والحصان المتوحش ، والحمار الوحش ، والغزال ، وأنواع الأرانب البرية ذات الفراء الثمين ، والذئاب ، والنمور (٤٢) . وكان يصبر على الجوع لمدة ثلاثة أيام أو أربعة

برغم صغر سنه ، وتعلم تموجين في طفولته كيف يبقى على ظهر الأغنام وهو ممسك بصوفها . كما تعلم أيضاً كيف يطعم نفسه بصيد الأسماك من المجارى المائية . وأما عن المصارعة ومبارياتها فكانت من احب الالعاب الرياضية الى نفسه ، وبز زملاءه في هذا المضمار ، برغم أنه كان يميل الى النحافة ، كما انه كان يجرى عشرة أميال فوق البرارى ذهاباً وإياباً . وتدريب تموجين في صباه على صيد الأسماك من الجداول والأنهار . وكان يشترك مع اخوته في صيد الحيوانات الصغيرة مثل السمور أو الأرناب البرية أو الثعالب السوداء ، حيث تؤكل لحومها وتذخر الأوتار والجلود (٤٣) .

وكان للمناخ اثره الواضح في حياته حيث تقسو الطبيعة بسرعة . فدرجة الحرارة في فصل الشتاء الطويل ٥٨ تحت انصفر ، وفي فصل الصيف القصير ٦٠ أحياناً ، كما أن قوة الرياح لا حد لها (٤٤) . ولذلك كان يرتدى سروالاً واسعاً مصنوعاً من الجلد وحذاء طويل الرقبة مصنوعاً من اللباد ، وأما غطاء الرأس فكان من فرو السمور تنسدل منه حاشية من الجلد . وعن قوة جسده فيمكن القول أنه كان فارع الطول ، عريض المنكبين ، ينساب على ظهره شعره الأحمر ، ووجهه غليظ ومتجمع ، وعيناه متباعدتان ضاربتان الى الزرقاء . وقد غطى وجهه بطبقة من الشحم ليحمى نفسه من الصقيع والرياح (٤٥) . وكان شديد المكر كالثعلب (٤٦) .

تموجين في مرحلة الصبا :

كان تموجين أمياً حيث لم يكن للمغول مدارس ولا دور للعلم ، ولكنه تعلم عن طريق الاستماع والانصات الى المنشدين الذين كانوا يرددون تاريخ أجدادهم وامجادهم (٤٧) . كما كان يستمع الى شاعر مغولى يحمل ربابته وهو ينشد قصة أحد أجداده ، وكيف أن هذا الزعيم المغولى جذب أحد زعماء الخطا من لحيته ، فكان عقابه أن مات مسموماً (٤٨) . وكان تموجين فخوراً بأبيه وفخوراً بجسده ، وفخوراً بسلالته ، «النورانيين» التى تنتمى الى الالهة ، طبقاً لعقيدته . وفى ذلك يقول الدكتور ثروت عكاشة (٤٩) : «ولعل هذا هو الذى حبيب الى نفس تموجين

أن يجلس إلى الحكماء والإخباريين . وكان عندهم علم عن الدول المجاورة ، ويستمع إلى علماء تلك الدول فيضيف إلى هذا الذي أذكى زهوه ، ويذكر بصره ، ويذكر خبرته ، ويحيى معرفته ، فإذا هو على علم بالأرض التي يعيش عليها ، وعلم بالأرض التي يعيش عليها جيرانه ، وإذا هو قد عرف تاريخ الأمم بعدما عرف تاريخ أمته « . وكانت ذاكرته تعج بهذه الأساطير . وكان يحفظ في مخيلته خريطة المسالك التي تؤدي إلى الأراضي المرتفعة أو إلى المرعى الخصب . وفي حرارة الصيف إلى أماكن الارتواء في المساحات الرملية الشاسعة من صحراء جوبي . وكانت معلوماته عن الصين عظيمة عرفها عن طريق المنشدين من ناحية ، وعن طريق والده من ناحية أخرى . وعرف أن الصينيين قد بنو السور من قديم الزمان ، وذلك لمنع المغول من الاغارة . وكانت إحدى كلمات والده له : « اننا لا نبلغ واحد في المائة من عدد سكان الصين . والسبب الوحيد الذي من أجله أمكننا مقاومتهم هو اننا جميعا قوم رحل ننتقل بمؤننا من مكان إلى آخر . ان لنا خبرتنا بنوع القتال الخاص بنا . اذا ما استطعنا سلبنا ما نحن في حاجة اليه ، واذا لم نستطع قبعنا بعيداً . اما اذا بدانا بنبي مدنا ونغير من عاداتنا القديمة ساء طالعنا وهوى نجمنا » (٥٠) .

تموجين وخطيبته :

وبرغم كون تموجين دون الثالثة عشر من عمره ، فانه كان يبدو اكبر من سنه من ناحيتي النمو الجسماني والعقلي ، فحدث أن كان مع والده لمقابلة إحدى القبائل الداخلة في طاعته . وحين اشرف « يسوجاي بهادور » على المنطقة المراد الذهاب اليها مر بعجوز على باب خيمتها ، فوقفت تتطلع إلى الغلام . ثم قالت : « ليكون لهذا الغلام شان اى شان ، فلقد رايت فيما يرى النائم أن صقراً يحمل على جناحيه الشمس والقمر قد حط على يدي ، وأخال أن هذا الحلم قد تحقق بمقدمك . وكانى بابنك هو هذا الصقر الذي رأيته في منامى ، وما أطمعنى فى أن يصهر إلى فازوجه إحدى بناتى ، وانا لمن قوم أغنياء اكفاء للأمراء هذا إلى أن بناتى وسيمات جميلات ، ولئن تركت لى الخيار ، لأختار له احداهن ، وقد اخترت له ابنتى « بورتارى » (٥١) . ويبدو أن تلك الفتاة كانت على قدر كبير من الجمال والفتنة حتى أن تموجين لم يرفع بصره عنها . (مصر قاهرة الغول)

ونظر « يسوجاي » الى الصبية ، وكان اسمها « بورتاي » اى ذات العينين الرماديتين ، وأبدى عدم موافقته بقوله : « انها مزالت حديثة السن » (٥٢) . ومهما يكن من أمر ، فان الموافقة على الخطبة تمت بعد ان لمس الوالد بقراسته رغبة ابنه فى الزواج بها . وترك الوالد ابنه تموجين فى منزل خطيبته فترة من الوقت لافساح المجال للتعرف على من اختارها زوجة له . وفى تلك الأثناء ذهب « يسوجاي » الى احدى القبائل الداخلة فى طاعته ، واستقبل بحفاوة بالغة ، ولكنه قصد من ذلك تغطية ما بيتوه له من غدر اذ دس له السم فى الطعام ، الأمر الذى اودى بحياته (٥٣) . وجاء فى كتاب المؤرخ هورث : « ان يسوجاي بهادر مات ١١٧٥م ، وأنه كان ضحية لخيانة التتار ، فلقد دعى فى أحد الايام لتناول الطعام فى خيامهم حيث خلطوا له السم فى اللحم » (٥٤) .

ولكن الفتى لم يستسلم لليأس ، بل اخذ من هذا الذى حدث لوالده نقطة انطلاق نحو عزيمة أقوى ، وثبات ، وتصميم على حماية القبيلة التى مات عائلها غدرا ، كل ذلك برغم أنه كان فى سن الصبا ، والأعداء من حوله يتربصون به الدوائر ، من حاقدين ، وطامع ، ومستخف . ووسط هذا البحر المملوء بالأمواج الهائجة ، استطاع تموجين أن يتدرب على الصبر على المكاره ، والآلام ، وتعلم كيف يحنى رأسه عندما تاتى عاصفة ، وكيف يركب الموجة التى تأخذ به الى بر الأمان . وبالطبع افاده ذلك فى صقل شخصيته ، واعطاه المنعة ، والقوة أمام الصعاب والعقبات . ولذلك عندما أتاحت له الفرصة ، جعل قاتلى والده يدفعون الثمن غاليا .

حالة أسرته بعد وفاة أبيه :

عرف تموجين أنه مقبل على طريق مملوء بالشوك والدماء ، فموت والده بالطريقة التى ذكرتها أثرت فى نفسه غاية التأثير ، وزاد من شدة المرارة تقلب الايام وغدر الصحاب ، وادهى من ذلك وأمر تنكر العشيرة . ولكنه برغم ذلك كله لم يهن ، ولم يضل فكره ، ولم يخنه وعيه . فحدد أن اخا له غير شقيق لأم غير أمه يدعى « بابكتار » أخذ من تموجين طائرا كان قد صاده فاستأثر به دونه ، مما سبب اساءة الى تموجين . وتكررت الحادثة مرة ثانية عندما اصطاد تموجين سمكة كبيرة ، فحاول

« بابكتار » أخذها لنفسه ، وعند ذلك كاد تموجين أن يبطش بأخيه ، لولا أن والدته القت على مسمعه درساً عنيفاً فى وجوب الوحدة . ولكن تموجين كان قد عقد العزم على وضع حد لصالاة الإجحاف والامتهان لشأنه ، ولذلك قام برمى أخيه بسهمه فأراداه قتيلاً (٥٥) .

وفى هذا الأمر يقول الدكتور ثروت عكاشة (٥٦) : « وعندما علمت امه ، أولون ايكى ، ثارت مؤنبه غاضبة ، وقالت لتموجين : لا غرو ، فما هذا بغريب عليك ، أنت الذى نزلت الى الوجود بيد مملوءة دما ، وما فعلت غير ما تفعله الوحوش الضارية ، لا تعرف فى ثورتها أى شىء تفترس ، أما كان الأجدر بك أن توجه ضربتك الى أعدائك «التنايدجوت» بدلا من أن توجهها الى أخيك ؟ »

ولما كان تموجين فى الثالثة عشرة من عمره عند وفاة والده « يسوجاى بهادور » فقد انفض عنه الأقارب والاتباع ، ورمى بالضعف ، واعننت القبائل التمرد والعصيان . ولكن هناك شىء على درجة كبيرة من الأهمية ، وهو أن تموجين كان عنيداً الى أقصى درجة ، معتداً بنفسه الى آخر مدى ، لا يغفر لخصمه امتهانه مهما صغرت ، ويستوى فى ذلك الأخ وغير الأخ ، ولاشك أن حادثة مقتل « بابكتار » كان لها آثارها التى منها : أن يكون « نثار » الذى كان أخا شقيقا لتموجين على بيئة من أسر ، حيث كان منافقاً قوياً له . واشتهر « قسار » بالقوة البدنية الخارقة ، ف قيل أنه كانت لديه المقدرة على أن يقصم ظهر أى انسان بكلتا يديه (٥٧) . ومن تلك الآثار أيضاً أن أهله تعلموا بهذا الدرس القاسى المصير الذى ينتظر كل خارج (٥٨) .

وعن تخلى قومه عنه بحرية وفاة والده يقول الدكتور فؤاد الصياد (٥٩) « كذلك استمر أتباعه ينفذون من حوله واحداً بعد الآخر . ولكن عز عليه كثيراً أن يتخلى عند أيضاً شخص كبير يجله الجميع ويحترمونه اسمه « توداون قمروجى » . فما كان من تموجين الا أن ذهب اليه بنفسه وحاول فى مسكنة وتوسيع أن يثنيه عن عزمه . ولكن هذا الشخص لم يستجب لندائه ، ورد عليه قائلاً : « لقد صممت على الرحيل ومجال التوقف محال » . وفى قسوة بالغة قال البعض الآخر :

« لا حاجة للقوم الى امرأة ضعيفة وأطفال مساكين » . وفى النهاية كان هذا هو قرارهم : « ان الرباط القوى الذى كان يمنحنا القوة والمنعة قد ذهب ، والصخرة التى كنا نحتذى وراءها قد تحطمت . ولم يبق غير المرأة وأطفالها . فما لنا وإياهم » . وأخذت عرياتهم المحملة تتدحرج خارجة من المخيم ، فقد خشوا ان يتركوا مصائرهم ومصائر أسرهم بين يدى امرأة وصبى غير محنك مثل تموجين (٦٠) . وكانت والددة تموجين تتمتع بشخصية قوية ، وإرادة حديدية ، فحاولت اجبار بعض المنشقين من الأتباع على البقاء وعندما تازم الأمر وصل الى حد النزاع المسلح . واشترك فى وصف تموجين رجل كبير حنكته التجارب اسمه « جرقه ايوكان » ، وكانت له مكانة عالية بين قومه ، ولكنه أصيب بطعنة نجلاء أودت بحياته . وقد بكى عليه تموجين بكاء مرأ وخاصة أن الرجل وهو فى النزاع الأخير قال لتموجين : « بعد وفاة أبيك المصالح ، شقت الأقوام والجنود عصا الطاعة ، وأعرضوا عنك فأردت أن أمنعهم ، ولكن القضاء كان لى بالمرصاد ، ففجأة أصبت بطعنة نجلاء » (٦١) .

شعور تموجين بالمذلة والهوان على يد التايجوت :

ذاق تموجين مرارة الذل والهوان على يد قبيلة التايجوت قبل أن ينتصر عليها (٦٢) . فلما وقع أسيراً فى أيديهم شددوا وثاقه الى نير (كانج) ووضعوه على كتفيه ، وهذا النير يتمثل فى قطعة ثقيلة من الخشب بها فتحة تسمح لرقبته أن تنفذ منها ، ثم يوثق الى كل من طرفيها أحد رصغيه - ونظراً لقوته البدنية ، فضلاً عن ذكائه الخارق ، استطاع تموجين الهروب من الأسر بعد أن ضرب حارسه على أم رأسه بالنير الخشبي ، ثم تخلص من ذلك النير بمساعدة أحد الأصدقاء الذى أخفى تموجين فى عربة كانت محملة بالصوف السائب . وقد بحث عنه التايجوت داخل العربة بحرابهم فاصيب تموجين فى ساقه ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة . وبعد ذلك ساعده الصديق الجديد على الخروج من العربة ليلاً وقال لتموجين : « لو أنهم وجدوك لزالتم أسرته من الوجود وأصبحت أثراً بعد عين . والآن اذهب الى أمك وأخوتك » . وأخذ تموجين يجد فى البحث عن أسرته حتى وجدها ، ولم يشأ أن يطلب المساعدة من زعماء القبائل الأقوياء الذين كانوا على صداقة وثيقة مع والده ، وفضل الجهاد

بنفسه فى موطنه الاصلى لانه كان يحدث نفسه قائلا : « ان الالتجاء الى القبائل كمتسول خالى الوفاض لا يوطد صداقة ، وانما يثير الاحتقار والازدراء » . وظل يجاهد دون ان يذوق للحم طعما (٦٣) .

هجوم قطاع الطرق من التايجوت على مخيم تموجين :

وفى احدى الليالى هجمت جماعة من قطاع الطرق من قبيلة « التايجوت » على مخيم تموجين وسرقت هذه الجماعة ثمانية من خيوله التسعة . وكانت هذه الجماعة تهدف الى قتل او أسر تموجين ولذلك حاصر بعض الفرسان من قطاع الطرق حدود المخيم ، واتجه بعضهم الى خيمة تموجين التى كان يميزها صارى العلم ذو الذيل التسعة البيضاء (٦٤) . ولكن تموجين تمكن فيما بعد بمساعدة صديقه « بو اورتجو Bo Ortehou » ان يستعيد الجياد الثمانية ، ومنذ ذلك الحين توطدت اواصر الصداقة والاخلاص بينهما ، واصبح « بو اورتجو » هذا احد قادة تموجين فى ايام عظمتهم (٦٥) . ولما عاد تموجين الى اسرته ومعه الجياد الثمانية ، عاد قرير العين ، ممتعا باكبار واجلال قبيلته له .

نجاح تموجين فى كسب صداقة طغرل خان :

بعد نجاح تموجين فى القضاء على قبيلة التايجوت ، ذهب الى منزل خطيبته بعد مرور ثلاثة أعوام على فترة الخطوبة وتزوجها وهى فى عامها الثالث عشر (٦٦) . وفى خلال العام الاول للزواج كان تموجين حريصا كل الحرص على ان يكسب صديقا قويا بعد ان حقق انتصارا على اعدائه . وفى هذا الامر يقول الدكتور ثروت عكاشة (٦٧) : « من اجل ذلك فكر تموجين فى ان يعود الى الصداقة القديمة التى كانت بين ابيه وطغرل خان زعيم « الكرايت » فيجدها ، كما يعلمهم تموجين قوم اشداء اكفاء فى الحرب . وما كان تموجين يفكر حتى نفذ ما فكر فيه ، وحمل معه ذلك الفراء الثمين الذى اهدى الى امه منذ حين قريب ، والذى اهداه اليها قوم « بورتاي » زوجه . ومضى الى « طغرل خان » كما يمشى الصديق الى صديقه يحيط به حرسه وقربائه » . وكان طغرل خان قد تغلب على عمه كور خان بمساعدة يسوجاي بهادور والد تموجين (٦٨) . وعرف ايضا باسم « وانج خان » . وكان وانج خان قد

أقسم يمين الصداقة الأبدية ليسوجاي بهادور لأنه فى الحقيقة كان مدينا بالعرش له (٦٩) . ولذلك لا نندهش عندما نجد تموجين موضع رعاية وحب وعناية وتقدير وأنج خان . بل وسنجد أنه قدم له المساعدة فى الوقت المناسب بالرغم من أن وأنج خان « كان رجلا مسنا ومسالما » (٧٠) .

انتصار تموجين على قوم مركيت :

قبائل المركيت سكنت على مجرى نهر سلنجاو جنوب بحيرة بايكال . وهم من الجنس المغولى . وعرفوا بالميل الى النار ، والفتن والقتال . وكان لهم جيش عرف بقوته وشدة فى القتال . ولما حاولوا الانتقام من تموجين دارت عليهم الدوائر ، وشن تموجين حربا شعواء ، وعاملهم بمنتهى القسوة . وأمر بالقضاء عليهم جميعا ، فلم ينج منهم الا بعض الهاربين او من كانوا اجنة فى بطون أمهاتهم (٧١) . وكانت حربهم مع تموجين لمدة سبع سنوات (١١٩٧ - ١٢٠٣ م) (٧٢) .

ولقد وصفهم هارولد لام فقال (٧٣) : « كان لقبائل المركيت ، وهم قوم متوحشون يقطنون شمال التندرا ، ثار ضد أسيرة تموجين . وفى موطنها الذى يسمى « العالم الأبيض المتجمد » .

ولا ريب أنه لسم يكن فى استطاعة تموجين مقاومة أمة المركيت بمفرده لولا المساعدة الفعالة التى قدمها له « وأنج خان » اذ وافق على ان تكون قوات الكرايت تحت امرة تموجين وتناضل الى جانب قواته ضد الاعداء المركيت . وبذلك أمكن لتموجين أن يفك أسر زوجته وأن يقضى على أعدائه بعد حروب طاحنة (٧٤) .

انتصار تموجين على أمة كرايت :

عرفت أمة كرايت باعتناقها النصرانية ، ويرجع بداية اعتناقهم لها الى عام ١٠٧٠/١٠٧١ م . وانتشرت الخرافات والخزعبلات عن هذه الأمة وملوكها فى أوروبا (٧٥) . وموطنهم الأصلى فى الوحشات الشرقية الداخلة فى صحراء جوبى ، وجنوب بحيرة بايكال Biakal حتى سور الصين العظيم . وهم من أهم الأمم المغولية . وعلى عهد تموجين كانت أمة الكرايت قوية بفضل حاكمها الذى عرف باسم . طغرل Toghril .

وكان يدين بالنصرانية ومسالما ، وطغرل هذا عرف أيضا باسم «وانج خان Wang Khan ، كما عرف أيضا باسم الملك يوحنا. وقد اشتهر في التاريخ باسمه الصيني والتركي معا وهما Wang Khan . والواقع ان وانج خان ظل معترفا بالجميل ليسوجاي بهادور الذى اقسم له يمين الصداقة الابدية بعد أن ثبتته على عرشه وطرد عمه - كورخان Gur Khan (٧٦) ، الى منطقة التايجوت (٧٧) . وربما نجد فى ذلك تفسيراً للتعاطف والصداقة التى تكونت بين تموجين و «وانج خان» . وكما ذكرت من قبل نجد تموجين قد نجح فى الحصول على المساعدات التى مكنته من القضاء على أمتى المريكيت والنيمان Naimans

ولكن التاريخ قد أثبت أن الانسان اذ حقق أى قدر من النجاح فى أى مجال ينتابه شئ من القسوة والتعالى والتباعد ، وفى الوقت نفسه نجد غيره ينظر اليه بشئ من الحقد والحسد والرغبة فى انتزاع المكانة او على الأقل فى المشاركة فى المزايا .

ولذلك ومع علو شأن تموجين تفاعلت عوامل الحقد والحسد فى نفوس أمة الكرايت نحوه نظراً لما بلغه من منزلة عالية . وفى الوقت نفسه كان تموجين مدركاً كل الادراك واعياً كل الوعى بما يخالج نفوسهم ، لذا نجده يدس بينهم عيوناً له . وفى ذلك الأمر يقول الدكتور ثروت عكاشة (٧٨) : « وكان تموجين على حظ من الخداع والدهاء أفادته فى شئون الحكم والاضطلاع باعباء عشيرته ، وكان بعد هذا على بصيرة ناقدة ، هياته الى أن ينفذ الى ما وراء المظاهر من خديعة وما وراءها من مكر . فدخل على حاشية الخان نقرأ من خلصائه والمعجبين به ليكونوا عيوناً له عليه ، وليعرفوا ما يحاك هناك من دسائس ضده » . وكان على رأس الحاقدين أمير الكرايت الذى انتابه الخوف على مركزه ومركز والده ، ولذا نجده يتحالف ضد تموجين مع شخص يدعى « جاموكا » ونجح الاثنان فى اقناع « طغرل » بالبحث عن أى سبب للقضاء على تموجين قبل أن يقضى عليهم جميعاً (٧٩) .

وفى ذلك قال ابن العبري (٨٠) : « وكان تموجين ذا بأس فى قهر

الأعداء ، فحسده الأقران ، وسعوا به الى (لونك خان) ، ومازالوا يغتابونه عتده حتى اتهمه بتغيير النية ، وهم باعتقاله ، والقبض عليه .
وعن طريق الجواسيس المخلصين له عرف تموجين نية وانج خان . وفى ذلك قال أيضا القلقشندى (٨١) : « وكان بالقرب من (ازبك خان) ملكهم صغيران يخدمانه فأطلعاها على ما أضمره الملك لجنكيزخان ، وعرفاه ما أضمره له وحذره » .

ومكر وانج خان ولكن تموجين كان أشد مكرأ . واستطاع تموجين أن يلحق أمة كرايت بأسرها درسا لا تنساه . فقام بالهجوم عليهم . وانتصر كما تعود دائما على النصر فى نهاية أى صراع دخل فيه . وبلغت الهزائم حدا كبيرا ، بعد أن أخذهم على حين غرة ، واستولى على السيوف المطعمة والكئوس الفضية . وقام بتسليم عرش وانج خان المحلى بالذهب الى الصينيين اللذين كانا قد حذراه من قبل بشأن نية وانج خان فى الغدر والهجوم (٨٢) . كما أنعم عليهما بأن منحهما لقب « ترخان » والترخان معناه « الحر الذى لا يكلف شيئا من الحقسوق السلطانية ، ويكون ما يغنم من الغزوات مطلقا لا يؤخذ من هذا نصيب الملك . وأضاف اليهما أن من حققا الدخول على الملوك دون إذن ، والا يعاقبا على ذنب الى تسعة ذنوب ، وتمتعت ذريتهم من بعدهم بالحقوق السابقة نفسها (٨٣) .

وبعد مقتل وانج خان أصبح تموجين سيدا على أمة الكرايت ، وبهذا فان فرعى الجنس المغولى توحدتا تحت زعيم واحد (٨٤) - وفى عاصمة دياره « قره قرم » لئلتى معناها « الرمال السوداء » ، سيق اليه ابن عمه « جاموكا » الذى كان قد تأمر ضده بالاشتراك مع وانج خان . ويبدو أن « جاموكا » كان شديد الاعتداد بنفسه ، ولم تخر قواه برغم هزيمته ، ووقوعه فى الأسر . فعندما سأل تموجين عن أى مصير يتوقع فاجابه جاموكا « المصير الذى كنت أعدده لك ، وهو الموت البطيء » . وكان جاموكا يعنى القتل بتقطيع اعضاء عضوا عضوا يوما بعد يوم . غير أن تموجين كان حريصا على تقاليد المغول ، حريصا على الا يشذ عما عرف عنهم فى معاملة الزعماء الذين ينحدرون من بيت رفيع ، فشنق جاموكا بخيط من الحرير ، وأحمد أنفاسه بين وسائد من اللباد (٨٥) .

انتصار تموجين على قبائل النيمان :

أمة النيمان كبيرة العدد ، كانت تسكن الأقاليم التى يجرى فيها نهر (ارتش الأعلى) ، والتى تخترقها جبال التاي الكبرى (٨٦) ، وحول البحيرات الواقعة فى تلك المناطق . واعتنقوا النصرانية مثل قوم كرايت . ولكنهم كانوا دائماً على خلاف مع بعضهم البعض . وهم من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولى (٨٧) . واستغرقت حروب تموجين مع النيمان فترة من الوقت بدأت من ١١٩٩م عندما كان وانج خان حليفاً له ، وانسحب فجأة من المعركة مما اضطر إلى التقهقر وترك بلاد النيمان . ولكن استطاع بعد ذلك القضاء التام عليهم سنة ١٢٠٤م ، وساعده فى ذلك بعض الخلافات العائلية فى أمة النيمان (٨٨) . وعن ذلك الصراع يقول الدكتور ثروت عكاشة (٨٩) : « وما أن استتب الحال لتموجين فى تلك البلاد حتى خرج من فوره نحو وديان الغرب ، حيث الأتراك النيمان الذين كان لهم مع الكرايته تاريخ فى الحرب طويل . فلقد أصبح هو الآخر يتوَجَّس منهم الشر ويخافهم على سلطانه الجديد » . ولذلك بعد أن انتهى تموجين من احتفالات تنصيبه عول على الالتفات نحو النيمان الذين طفح حقدهم نتيجة لانتصاراته ، كما أن رئيسهم كان يهدف إلى السيادة على بلاد التتار (٩٠) . وبمقتل تابانك خان رئيس قبيلة النيمان ، وهزيمة جيئسه الجرار ، وأسر زوجته ، وزواج تموجين بها ، أصبح تموجين سيداً للموقف بلا منازع .

حصول تموجين على لقب جنكيزخان :

بعد أن نجح تموجين فى توحيد أمة المغول تحت زعامته ، وذلك بفضل ذكائه ودعائه وحنكته ومهارته وكفايته السياسية والإدارية والحربية ، عقد أول مؤتمر عام للمغول عرف باسم « قورلتاي Kuriltai » فى مدينة « قره قورم » عاصمة الدولة . وكان ذلك ١٢٠٦/٥٦٠٣م حيث انتخب تموجين خاقان أى الحاكم الأعلى أو الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه أيضاً الخان الأعظم . واستعمل المغول لقب خان أيضاً بمعنى خاقان ، وربما كان ذلك من الرغبة فى الاختصار . وأما لقب خان فقد أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءاً من الامبراطورية المغولية (٩١) . وفى هذا المؤتمر أيضاً أعقد على الحاضرون

لقباً جديداً هو جنكيزخان أى أعظم الحكام ، أو امبراطور البشر كله (٩٢) . أو ملك الأقوياء أو الملك صاحب القوة والبطش (٩٣) . أو ملك الملوك وحاكم العالم أجمع (٩٤) .

ومن الملاحظ أن هناك شبهة اجماع بين المراجع المختلفة بشأن التسمية الجديدة ، وهى جنكيزخان فيقول هارولد لام (٩٥) : « وتقدم أحد العرافين ، وحث على ضرورة تغيير اسم الزعيم ، وليكن جنكيزخان الذى معناه الخان الأعظم أو الخان الذى يبسط سلطانه حتى شاطئ البحر » . ويقول الدكتور ثروت عكاشة (٩٦) : « لذلك نهض أحد العرافين يختار لقباً جديداً جليلاً يتفق وهذا الملك الجديد الجليل ، وناشد الجميع أن يسموا سيدهم باسم «جنكيزخان» ، ومعناه : ملك الملوك وحاكم العالم أجمع . وذكر مؤرخان (٩٧) أنه فى أثناء هذا الأمر ظهر بين المغول أمير معتبر كان يسبح فى الصحارى والجبال فى وسط الشتاء عرياناً حافياً ويغيب أياماً بأسرها ثم يأتى ويقول : « كلمنى الله وقال لى : ان الأرض بأسرها قد أعطيتنا لتموجين وولده وسميته جنكيزخان . وأما القلقشندى (٩٨) فذكر أن اسمه فى الأصل تموجين وأنه لما عظم شأنه سمي جنكيزخان .

جنكيزخان وكتاب الياسا الكبير

أهمية الياسا والهدف منها :

لما كانت نفس جنكيزخان تتوق الى السيطرة ، والى ان يسود العالم بأسره ، فإنه بعد نجاحه فى توحيد أمته تحت زعامته ، عقد اجتماعا فى العام نفسه الذى حصل فيه على لقب جنكيزخان ، وأعلن قانونه المشهور الذى كان بمثابة دستور لدولته الكبرى . وبفضل هذا الدستور نجحت امبراطورية المغول فى التوسع جنوبا على حساب البلاد الصينية ، وغربا لاختضاع قبائل الخطا ، ثم بعد ذلك فى حروبه الأخرى . والقانون المشهور هو الياسا التى كانت بمثابة دستور عام قام على مبادئ ثلاثة : (أولها) الخضوع التام لجنكيزخان ، (وثانيها) الوحدة المغولية لكافة الشعب المغولى (وثالثا) العقاب الصارم لكل مرتكب لى خطأ مهما كانت شخصيته (٩٩) . والواقع أن « ياسا » كلمة مغولية معناها حكم وقاعدة وقانون ، ويلاحظ كتابتها بصور مختلفة فى الكتب الفارسية والعربية ، فنجد ياسسا ، وياسه ، ويساق ، ويسق (١٠٠) . وولى جنكيزخان ابنه (جفاتاي) أمر الياسا (١٠١) . وكانت ثقة جنكيزخان بالياسا لا حد لها لدرجة أنه قال : « اذ لم يتبع الأمراء الذين سيأتون من بعدنا قوانين الياسق ، فإن امبراطوريتنا ستبلى وتتحطم » (١٠٢) .

والفضل لجنكيزخان فى وضع « كتاب الياسا الكبير - ياسا نامه بزرگت » . « أو الياسا الكبرى Yassak ، برغم كونه أميا . وكتبت بالخط الأيغورى . ووجدت نسخة منها منقوشة فى صفائح الفولاذ بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد (١٠٣) .

والواقع أن الياسا كانت بمثابة قانون مختصر ، ودستور حرمى ، اجتماعى ، وسياسى . ويجب القول بأنها صدرت مجزأة طوال حكم جنكيزخان ، وأضيفت اليها مواد كثيرة حددت ما لرؤساء العشائر من حقوق ، وامتيازات . وما هو مقرر للخان من شروط الخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات ، وقواعد نظام الضرائب ، فضلا عن مبادئ

القانون الجنائي ، والمسيدي ، والتجاري . ومع أن جنكيزخان يعتبر الطاغية الأكبر ، فقد أوصى بأن يلتزم بها خلفاؤه (١٠٤) .

وأبدى المؤرخ هورث اعجابه بها حين قال : « وفي كافة التفصيلات لنظامه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي كان جنكيزخان مبدعاً ، وكانت قوانينه ونظمه الادارية تبعث على الاعجاب لدرجة متساوية ومدهشة . فالعدالة ، والتسامح ، والنظام ، والفضائل التي تشكل المثل الاعلى للدولة الحديثة كانت تلقن وتمارس بين حاشيته واتباعه » (١٠٥) . ولاشك أن جنكيزخان ضمنها كثيراً من عادات وتقاليده المجتمع المغولي الذي تربى وترعرع فيه ، كما حوت في الوقت نفسه كثيراً من المواد التي « ضمنها من عقله ، وقررها من ذهنه » على حد قول القلقشندي (١٠٦) .

والواقع أن جنكيزخان عبر بنفسه عن الهدف من الياسا حين قال مخاطباً الشعب المغولي : « فليساعد الواحد منا الآخر ولنقض على بقية الأجناس » (١٠٧) . ويبدو أن روح التعاون ، وتفاني الفرد في سبيل المجموع كانت هدفاً حيويًا لجنكيزخان إذ نلاحظ على سبيل المثال : ما يلي : كان من حق الفرد المغولي أن يأكل مع من يراهم دون اذنتهم . كما كانوا يتعاملون بالاسم فقط دون القاب ، أو استعمال الالفاظ المفخرة . وكانت الطاعة العمياء شيئاً مقدساً في الياسا ، فكان الامير الذي يرتكب أي ذنب يلقي بنفسه بين يدي رسول جنكيزخان ذليلاً لينال عقابه ، ولو كان فيه هلاك . والصدق كانت له قداسسته ، حتى وصل الامر الى أن يذهب أحدهم الى الخان ، ويطلب منه أن يقتص منه على ذنب لم يره أحد متلبساً به . وملابسهم كان محرماً غسلها . والقتال كان محرماً بين المغول . كما انه ليس لمغولي أن يتخذ مغولياً خادماً له أو عبداً (١٠٨) . والمساواة في الحقوق بدت في حق الجندي الاحتفاظ بما استولى عليه من أسلاب ، بعد أن يقدم ما يخص القائد . وكذلك كانوا على ثقة من أن الغنائم ستوزع بالعدل (١٠٩) .

الناحية الحربية ومباريات الصيد :

اهتمت الياسا بالناحية الحربية اهتماماً بالغاً ، ونظمت الامور الحربية تنظيماً غاية في الدقة والقسوة . وما هو جدير بالملاحظة أن

النظام الحربى طبقاً لما ورد فى الياسا لم يكن كله من ابداع جنكيزخان ، بل كان جله معمولاً به فى جيوش المغول ، ولكنه اُضيف اليه لمسات من عقله ، وفكره ، وروحه الطباغية ، واكسبه قوة بقوانينه الصارمة . فمثلاً جعل الترقية الى الوظائف الاعلى فى الجيش على أساس الكفاءة فحسب (١١٠) ، وقسم الجيش الى فرق كبيرة كل منها يتكون من عشرة آلاف رجل (تومان) ، وهذه بدورها تنقسم الى فرق تتألف كل منها من ألف رجل ، ويتدرج هذا التقسيم الى فرق من مائة وفرق من عشرة (١١١) . واستأثرت أسرته بالرتب العليا فى الجيش ، ويقال لهم (نوين) أو (نويان) . وأما الاشراف من الجند ، فكان لقب الواحد منهم «ترخان» . وكانت لتلك الطبقة عدة امتيازات ، منها الاعفاء من الضرائب ، وحق الاستيلاء على الغنائم التى يحصلون عليها فى الحرب ، وحق دخول بلاط الخان دون استئذان ويقدمون فى الحفلات وحق تناول كأس من الشراب من يد الخان نفسه . وجعل له حرساً خاصاً يشبه الحرس الجمهورى فى أيامنا ، وبلغ عدده عشرة آلاف رجل كان يتخيرهم بنفسه من بين الذين عرفوا بالحذر واليقظة وشدة البأس . ومنهم فرقة خاصة عددها ألف رجل عرف كل منهم باسم « بهادر » أى مبارز شجاع ، وهذه الفرقة الخاصة تتعامل مباشرة مع (الخان) وتسهر على خدمته . وكانت عقوبة أى فرد من الحرس الخاص ثلاث جلادات أول مرة ، فاذا عاد الى التقصير جلد سبعين جلدة . وأما فى المسرة الثالثة فيفصل من عمله بعد جلده سبعين جلدة . كما طبق أيضاً مبدأ الطاعة العمياء (١١٢) .

وأما عن الأسلحة فكان سلاح الفرق الامامية الدروع الكاملة والسيوف والحراب ، كما تغطى الخيول بدروع تناسبها . أما الفسرق الخلفية فاقترنت أسلحتها على القوس والنشاب . ووجد فى الجيش المغولى قاذفات السهام ، وقاذفات اللهب ، بالإضافة الى المجانيق وآلات الحصار الاخرى (١١٣) .

وعلمهم كيف يمسكون السنتهم عن الكلام ، واعطاء الاشارات اثناء النهار باستخدام بيارق مستطيلة ترفع على الرماح . وفى اثناء الليل

كانت الاشارات تتم بواسطة المصابيح الملونة ، وكان من النادر سماع أو رؤية أحدهم حتى ينقضوا جميعا على العدو كالاعصار (١١٤) .

وأما عن مباريات الصيد فقد حددت الياسا مواعييدها في فصل الشتاء القارس ، وبداية سقوط الجليد ونهايتها عند ظهور الحشائش . والهدف منها هو القيام بعمل يشبه المباريات الحربية في عهدنا . ولا يخفى علينا ما لهذه المباريات من أهمية حربية وخاصة إذا علمنا أنها كانت تأخذ طابع الجدية ، والقسوة ، وتصل عقوبة أى خطأ الى الضرب بالعصا ثم الاعدام اذا تكرر الخطأ . ويمكن اجمال تلك المباريات في أنها كانت تقوم على صيد الطباء ، وحمير الوحوش ، والأرانب البرية ، وتمتد من شهر الى ثلاثة شهور (١١٥) . وفي ذلك قال هارولد لام (١١٦) : « قبلنا من أن يدعهم يستريحون في موسم الشتاء الجليدي كان يأمرهم بالخروج في حملات الصيد الكبيرة ... » .

وقد ورد ذكر أهمية مباريات الصيد على أنها وسيلة فعالة للتدريب والاختيار وأنها كانت تراعى فيها نفس الدقة التي تراعى أثناء المعارك الحربية مما يدرب الجند على النظام (١١٧) .

جرائم عقوبتها الاعدام :

لكى يحقق جنكيزخان آماله العريضة في السيطرة فرض في الياسا عقوبة الاعدام على بنى جنسه عند مخالفة ما جاء بها من الأمور التالية :

- (١) كل من زنا (٢) كل من لاط (٣) كل من سرق (٤) كل من تدخل بين اثنين وهما يتخاصمان واعان أحدهما على الآخر (٥) كل من تبول في الماء أو على الرماد (٦) كل من خسر في تجارة بعد المرة الثالثة (٧) كل من أطعم أسير قوم أو كساه بغير اذنهم (٨) كل من وجد عبداً أو أسيراً قد هرب ، ولم يرده على من كان في يده . (٩) كل من ذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية الاسلامية ، (كانت عادة المغول هي شق بطن الحيوان وتمريس قلبه باليد الى أن يموت) . (١٠) كل من لم يساعد زميله في حمل قوسه في حالة الوقوع منه (١١) كل من يشرع في نهب العدو قبل أن يصدر القائد العام الأمر بذلك . (١٢) كل من يجلس في الماء وقت الربيع أو الصيف أو يغسل يده في الماء . (١٣) كل

من يضع الماء فى أوان ذهبية أو فضية (١٤) كل من يلقي بلباس مغول فى الصحراء (١٥) كل من يتهم بالسحر والشعوذة بهدف الإضرار بالغير (١٦) كل جندى أو ضابط متهم بالاهمال ، ولم يقتصر الأمر على مقتله فقط ، بل وتعدم زوجته وأولاده (١١٨) .

أفعال كانت تثير غضب جنكيزخان :

كانت هناك أفعال لم تكن عقوبتها الاعدام ، ولكنها كانت تثير غضب الطاغية جنكيزخان وهى ما يلى : (١) الابن العاق (٢) الأخ الأصغر الذى يختلف مع أخيه الأكبر (٣) الزوج الذى يهجر زوجته . (٤) الزوجة التى تهجر زوجها (٥) الغنى المسك عن مساعدة الفقراء (٦) الرأس الذى لا يحترم رئيسه (٧) شرب الخمر . وجدير بالذكر أن الياسا لم تكن تعد المرء مذنباً إلا اذا اعترف بذنبه أو ضابط مثلباً بجريمته . ولما كان المغول شعباً أمياً فكان المرء يؤخذ بقوله ويلزم به (١١٩) .

التسامح مع بعض الفئات من غير المغول :

حددت الياسا الفئات التى عولمت بشئ من الرحمة والانسانية والتسامح ، كما أعفتهم الياسا من الضرائب ، والمؤن ، والتكاليف التى كانت تفرض على غيرهم . وهذه الفئات هى : رجال الدين ، والفقراء ، والقراء ، والأطباء وأرباب العلوم ، وأصحاب العبادة والزهد ، ومغسلو الموتى . وجدير بالذكر أن جنكيزخان لم يكن معتنقاً لى دين من الديانات المشهورة ولم يكن تابعا لى مذهب وكان بعيداً عن التعصب (١٢٠) . لكن المغول كانوا فى غاية القسوة والوحشية . وفى ذلك يقول الدكتور ثروت عكاشة (١٢١) : « كانوا متعالين على غيرهم فيهم كبر وفيهم غطرسة ، ينظرون الى من سواهم نظرة ملؤها الاحتقار ، والازدراء ، لهذا عدو اعتداهم على غيرهم من البشر شيئاً غير منكر ، بل غالوا فعُدوه جزاء عادلاً » .

نظام البريد :

كان جنكيزخان حريصاً كل الحرص على معرفة كل صغيرة وكبيرة داخل امبراطوريته ، لذلك أقام نظاماً عرف باسم « يام » ومعناها بلغة

المغول البريد . وجاء اسم البريد « اليام » فى الياسا حيث قال المقريزى :
« ... والزم السلطان باقامة البريد حتى يعسرف اخبار مملكته
بسرعة » (١٢٢) . فوامر جنكيزخان كانت تنقل من مكان الى آخر على
الخيول . وكان الفرسان يقطعون مائتى ميل فى اليوم الواحد ، وذلك
عن طريق استبدال الخيول بخيول جديدة عند كل محطة فى طريقهم .
وكان بتلك المحطات قوات مسلحة للحراسة ولحفظ الامن ، وبها ما
يحتاجه المسافرين من طعام وشراب وعلف للخيول (١٢٣) . وكانت
الوامر تحمل فى انابيب مختومة بالذهب . ونظرا لشدة برودة الشتاء
فان فرسان البريد (يام) اعتادوا طلاء وجوههم بالشحم . وبسبب
السرعة المطلوبة فى تادية اعمالهم فقد اعتادوا ايضا وضع اجراس صغيرة
فى اذنهم للتنبيه ولتحذير الغير لافساح الطريق لهم (١٢٤) . وهذا
النظام (يام) قريب الشبه بنظام البريد فى الدولة الاسلامية ، فكان
عند جنكيزخان ما يشبه اصحاب البريد ، وعماله عند المسلمين . وقام
(اليام) بأكثر من وظيفة منها : وظيفة نقل « اخبار مملكته بسرعة .
وهو نظام يشبه المخابرات العامة فى عصرنا ، ومنها استدعاء كبار قادة
الجيش لحضور الاجتماعات . وفى ذلك قال جنكيزخان : « ان كل من
تحدثه نفسه بالبقاء فى خيمته بدلا من المجئ الى المؤتمر للاستماع الى
اوامرى فمصيره الضحر او يلقى فى قاع البحر او يرمى بالسهم فى وسط
الغاب » (١٢٥) .

وظلت الياسا الكسبرى محتفظة بمكانتها فى النفوس فى عهد
جنكيزخان ، وفى عهد ابنائه ، واحفاده . ووصلت الى مكانة التقديس
اذ كان لا يجوز التبديل فيها ، وكانوا يرجعون الى نصوصها . واذا خالف
حاكم ما جاء بها جاز لهم خلعه .

والياسا كانت ومازالت دليلا قويا على عبقرية جنكيزخان ، وابداعه
اذ لا يقل مكانة عن غيره من قادة الثورات العالمية التى احدثت تغييرا
فى التاريخ العالمى ، واجبروا العالم على الخضوع الى نفوذهم وسيطرتهم .
ونظرا لمحافظة ابنائه واحفاده عليها ، بل ونظرا لقوة نصوصها بقيت
امبراطوريته قوية بعد مماته عكس امبراطورية الاسكندر الاكبر او
نابليون .

الفصل الثاني

« معركة عين جالوت الفاصلة »

١ - غزو المغول للشام :

ان ما ارتكبه المغول من أعمال العنف والقتل والتدمير ، اثار موجة عارمة من الذعر فى قنوب امراء المسلمين الماجورين ، مما جعلهم يبادرون بالاعراب عن مشاعرهم وعواطفهم تجاه هولاء مظهرين الخنوع والاستسلام . ومن هؤلاء بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (الذى استقل بحكم الموصل ١٢٣٣م ، بعد ان كان وزيراً لآخر امراء الزنكيين بها ، وظل يحكمها حتى ١٢٥٩م) . والثابت تاريخياً ان بدر الدين لؤلؤ قد صانع هولاء ، ودخل فى طاعته ، وحمل اليه الاموال . وحينما سقطت بغداد ارسل اليه هولاء رعوس الوزراء ببغداد فعلقها على اسوار مدينة الموصل . ولم يكتف بذلك بل انه توجه الى هولاء ، بعد عودته من بغداد الى مقر سلطانه (اردو) بالقرب من موقان فى اذربيجان . وقدم ايضاً على هولاء اتابك فارس ليبيذل له التهنئة باستيلائه على بغداد ، ثم جاء الاخوان عز الدين كيكائوس الثانى وركن الدين قنج ارسلان الرابع اللذان اقتسما سلطنة السلاجقة بآسيا الصغرى . واشد اضطراب عز الدين ، نظراً لانه سبق ان حاول التمرد على القائد المغولى بايجو ، فانزل به هزيمة ساحقة عند اقصر ١٢٥٦م ، فظهر الندم ، والح فى طلب العفو من هولاء ، حتى اقره على ملكه « (١) » .

وكانت بلاد الشام ابان الغزو المغولى مقسمة بين ثلاث قوى : الفرنجة ، والارمن ، والامراء من البيت الايوبي . ومن اهم المناطق التى كانت تحت ايدى الامراء الايوبيين ، ميافارقين ، وحصن كيفا ، والكرك ، وحلب ، ودمشق ، وحماء ، وحمص .

ولم يكن الامراء من البيت الايوبي فى تلك المناطق على وفاق ، وانما كانوا فى نزاع دائم وخلاف مستمر . وبالرغم من علمهم بما فعله (مصر قاهرة المغول)

المغول فى بغداد ، فانهم لم يسارعوا بالاتحاد والوقوف فى وجه الخطر
المغولى الذى كان ماثلاً للغيان .

على ان الناصر يوسف - أمير حلب ودمشق (٦٤٠ - ٦٥٩ هـ) -
كان أكثر الامراء الأيوبيين قوة واقتدارا ، استخف برأى الأشرف بن الملك
الغازى بن الملك العادل صاحب ميافارقين حينما توجه اليه ، وطلب منه
سرعة النجدة لمنع المغول من اندخول الى الشام ، ولم يأخذ بمشورته ،
وانما سوفه بكلام « وسرحه من عنده بالآمان » ، على حسد قول ابن
العبري (٢) .

ومن المدهش أن الناصر يوسف هذا لم يقف عند حد الضعف
واللامبالاة أمام خطر المغول انحدق بالجميع ، وانما سارع بالاتصال
بالمغول عشية سقوط بغداد فى أيديهم ، حيث أرسل ابنه العزيز الى
هولاكو ، حاملاً الهدايا والتحف لذلك القائد المغولى ، وطالبا منه أن
يمده بجيش للمساعدة فى الاستيلاء على مصر ، وطرده المماليك منها (٣) .
وعلى الرغم مما فعله الناصر يوسف مع هولاكو ، فان الأخير شك فى
اخلاص الأول لعدم حضوره بنفسه أمام يدى هولاكو ، لعرض التبعية
والولاء ، وطلب المساعدة والتحالف ضد حكم المماليك فى مصر . وعلى
ذلك أعلن هولاكو أن الوفد الذى أرسله الملك الناصر يوسف اليه لا يناسب
مقامه ، ورأسل رسالة الى المنك الناصر يوسف يأمره بالرجوع اليه لتقديم
التبعية واعلان الخضوع (٤) .

غير أن الحوادث التاريخية تتابعته بسرعة حيث أعلن باقى الامراء
من البيت الأيوبي استنكارهم الشديد لموقف الناصر يوسف الأيوبي صاحب
حلب ، ودمشق - بسبب اتصاله بالمغول ، وعرض التعاون معهم ، والتبعية
اليهم ، وعلى ذلك أظهر الامراء الأيوبيون العداء السافر للناصر يوسف
هذا . وشعر الناصر يوسف بالتخبط فى سياسته بعد أن خسر أهل بيته
الأيوبي من الامراء بالشام ، وبعد أن تلقى رسالة هولاكو المهينة ، لذلك
رد على رسالة هولاكو برسالة كلها قسذف وسباب . وكان هولاكو يدين
بالنصرانية ومتزوجاً من نصرانية لعبت دوراً سياسياً مهماً فى تكوين حلف
سياسى مغولى صليبي ضد المسلمين (٥) . حيث أعلن هيتوم حاكم قليقية

(أرمنيّة الصغرى) انضمّاه للجيش المغولى للمقضىء على المسلمين بالشام ، . هذا بالإضافة الى انتزاع بيت المقدس من المسلمين ، وانضم بوهيمند حاكم أنطاكية الصليبيين الى ذلك الحلف باعتباره زوجاً لابنة هيتوم . وشارك البطريق الأرمنى فى هذه الحملة الصليبية السّماة . وذلك بأن بارك تلك الحرب التى قادها هولاءو المغولى النصرانى ومعه هيتوم الأرمنى النصرانى ، وكذلك زوج ابنه بوهيمند حاكم أنطاكية الصليبيى (٦) .

على أية حال ، تحرك المغول من أذربيجان صوب سوريا . وقاد كتبغا طلائع المغول ، وقاد « بايجو » ، « وسنقر » الجناح الايمن . أما الجناح الايسر ، فكان يقوده « سونجاق » . أما القلب فكان تحت قيادة هولاءو . وبدأ الغزو المغولى بالاغارة على امارة ميافارقين بديار بكر ، وكان « الملك الكامل » محمد بن الملك المظفر بن العادل أبى بكر بن ايوب حاكما لها . وأرسل نغول وفداً سياسياً لحاكم ميافارقين لدعوته الى الدخول فى تبعية المغول . غير أن حاكم ميافارقين رفض طلب المغول ، وفضل مقاومتهم حتى الموت . وازاء موقف هذا الحاكم الشجاع اضطر المغول ، ومن حالفهم من نصارى أرمنيا الى محاصرة ميافارقين لمدة عامين . غير أن أهالى ميافارقين أبدوا شجاعة فائقة فى التصدى للعدو الغاشم ، والحقوا خائر كبيرة فى جيش المغول المحاصر للمدينة . ولكن نفاد الطعام ، وانتشر الوباء ، واضطرار الناس الى أن يأكل بعضهم بعضاً ، أجبر الملك الكامل على الاستسلام للمغول . وقام المغول بقتله شر قتله ، اذ كانوا يقطعون لحمه ، ويدفعون بهذه القطع الى فمه حتى مات . ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به فى المدن السورية الكبيرة . وكان المغنون والطبالون يتقدمون موكب الرأس . وأخيراً على فى شبكة بسور باب الفراديس بدمشق (٧) .

وبعد استيلاء المغول على ميافارقين ، حاصروا مدينة ماردين التى كانت تحت حكم الملك السعيد . غير أن الملك السعيد رفض الاستسلام للمغول وظل يقاومهم ، برغم أنها تعرضت لحصار المغول مدة ثمانية أشهر دون أن ينجح المغول فى اقتحامها . وأخيراً اعتدى أحد أبناء الملك السعيد عليه وقتله ، حقنا لدماء المسلمين بعد فشله فى أن يثنى أباه عن

عزمه ، حيث ان اياه كان مصراً على مواصلة المقاومة حتى الموت . وبعد ان سلم الابن الجبان ، الذى قتل اياه القلعة للمغول ، نصبوه واليا على ماردين بدلا منه . وتمكن هولاء من الاستيلاء على نصيبين ، وحران ، والزها ، وقتل اهالى سروج عن آخرهم ، لانهم قاوموه . ثم احتل البيرة ، وعبر نهر الفرات ، واغار على منبج حيث سفك دماء الكثيرين من اهلها (٨) .

اما مدينة حلب فقد قاومت الغزو المغولى ببسالة . وكان هولاء قد تقدم على رأس جيشه ويتعاون الارمن والفرنجة لمحاصرة حلب . وارسل هولاء رسالة الى « الملك المعظم تورانشاه » والى حلب ، يطلب اليه تسليم حلب ، ووعد هولاء بان يؤمن الملك المعظم تورانشاه ، ويؤمن اتباعه ، فلم يجبه الناصر صاحب حلب ودمشق ، والذى كان موجوداً في ذلك الحين في حلب ، ولم يبق فيها للدفاع عنها وانما اثر الهرب الى دمشق . وبذلك تحمل الملك المعظم تورانشاه مسئولية الدفاع عن حلب وحده . وهاجم المغول حلب بشراسة ووحشية ، حيث نصبوا حوالى عشرين منجنيقا حول المدينة ، وامطروها ببوابل من القذائف الى ان اضطرت الى الاستسلام . واستباحها المغول سبعة ايام ، قتلوا خلالها اعداداً كبيرة من السكان ، وامتلات الطرقات بجثث القتلى ، وأسروا النساء والأطفال ونهبوا الاموال . اما قلعة حلب ، فقد استعصت عليهم ، واستمرت تقاوم مدة ثلاثين يوما ، ثم استسلمت فى النهاية . واستغل « هيثوم » ملك ارمينيا الفرصة ، فاحرق الجامع الكبير بحلب . وفى ذلك الوقت كان المؤرخ ابن تيمرى رئيساً لأساقفة حلب ، وكان اول من سارع للقاء قادة العدوان المغولى النصرانى ، وقدم طاعته لهولاء (٩) .

وذهب هولاء الى قلعة حارم للاستيلاء عليها ، غير ان اهلبا اشترطوا تسليمها الى - فخر الدين المعروف بالساقى والى قلعة حلب ، لانه رجل صادق ، مؤمن ، خير ، يوثق به . فغضب عليهم هولاء ، ولكنه تظاهر بالنزول على رغبتهم . واستدعى فخر الدين ، حتى اذا سلمت اليه القلعة ، امر هولاء بقتل فخر الدين اولاً . ثم بقتل جميع من فى القلعة من الصغار والكبار ، الرجال منهم والنساء حتى الأطفال . وتمكن المغول ايضا من الاستيلاء على حماه ، والمعة ، وحمص (١٠) .

ولاربيب ان العمليات الوحشية التى مارسها المغول عند غزوهم لبلاد الشام ، وما فعلوه من قتل ، وتشريد ، وتخريب ، وتدمير آثار حالة من الذعر عمت كل مكان فى سوريا ، الأمر الذى جعل الملك اشرف موسى الأيوبي يسارع فى تقديم فروض الولاء والطاعة والتبعية للمغول . وكان فى ذلك الحين يملك فقط تل بasher الصغيرة قرب الرها . فرد اليه هولاكو حمص التى كان الناصر قد انتزعها منه ٦٤٦هـ ، كما اختاره نائبا عنه لبلاد الشام (١١) .

أما دمشق فقد سقطت فى أيدي المغول دون عناء . فعندما علم المدافعون عنها ، بتقدم المغول نحو دمشق هجروها ، ولم يحاول الملك الناصر يوسف - صاحب حلب ودمشق (٦٤٠ - ٦٥٩ هـ) حماية المدينة وانما تركها لمصيرها التمس . وانسحب الى غزة ليكون على مقربة من النجدة التى وعده بها سلطان مصر (١٢) . ولما خابت آماله ، فر هائما على وجه الى أن وقع فى قبضة المغول ، فعفا عنه هولاكو ، ووعدته بأن يفوض اليه حكومة الشام ، بعد سيطرته على البلاد المصرية (١٣) .

وانتابت حالة من الذعر سكان دمشق ، وبخاصة بعد معرفتهم لما حدث بحلب ، لذلك سارعت الشخصيات المهمة فى المدينة لمقابلة هولاكو . وقدموا له الهدايا والتحف ، وسلموه مفاتيح المدينة . وأظهروا له الانقياد والطاعة ، فدخل المغول المدينة دون اراقة قطرة دم . وعندما امتنعت عليهم قلعة دمشق ، حاصروها ، وأقاموا عليها المجانيق الى أن استسلمت لهم ، نهبوا . وأظهر النصارى فى دمشق حقدهم الشديد الدفين على المسلمين ، وشعور البغضاء ، والرغبة الملحة فى التشفى ، والانتقام من المسلمين . وذلك بتنظيم مواكب نصرانية عامة ، كانوا ينشدون فيها الأناشيد ، ويحملون الصلبان ، ويجبرون المسلمين على الوقوف احتراماً لهم ، ومن يمتنع من المسلمين ، كان يتعرض للسب والاهانة . وبلغ بالنصارى التحدى أقصاه ، فدقوا النواقيس ، وشربوا الخمر علنا فى رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات ، كما صبوه على أبواب المساجد ، ولم يستثنوا الجامع الأموى من ذلك ، فضجر المسلمون من تلك الأفعال ، ورفعوا شكواهم الى كاتبنا نائب هولاكو ، فلم يحفل بهم ، بل إهانهم ، وضرب بعضهم ، وأخذته موجة

من التمسك بتعاليم النصارى ، فجعل يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم (١٤) .

وبعد دخول المغول دمشق بثلاثة اسابيع ، سيطر المغول على كل اقاليم سورية ، وقتلوا حامية نابلس لأن الحامية قاومتهم ، ثم تقدموا الى غزة دون أن يقاومهم أحد ، واستسلمت لهم حامية عجلون ، غير أن قوات المغول لم تصل مطلقا الى بيت المقدس . وهكذا أحاط المغول بالفرنج من كل الجهات ، ولكن لم يكن فى نيّتهم مهاجمة الفرنج فهم حلفاء لهم (١٥) .

الماليك والتعبئة العامة :

كان غزو مصر يمثل آخر أهداف الخطة العامة للمغول ، والتي تم وضعها أو اقرارها ، فى اثناء انعقاد مجلس البلاط الامبراطورى المغولى فى قراقورم العاصمة فى اواسط آسيا ، نحو ١٢٤٩/١٢٥١م أو ١٢٥١/١٢٥٣م ؛ اذ كلف خان المغول الاعظم منكوكخان أخاه هولأكو بالتقدم غربا لاجتلال غرب ايران ، والعراق ، وبلاد الروم (سلاجقة الروم شرقى الأناضول ، وبلاد الشام ، ومصر حتى اقصاها) (١٦) .

وكان المغول بعد احتلالهم دمشق قد سارعوا بالاغارة على مدن فلسطين ، ناشرين الرعب ، والدمار فيها ، فوصلت قواتهم الى الصلت (١٧) ، وبركة زيزا (١٨) ، والخليل ، وبيت جبريل (١٩) ، بل وصلوا فى احدى غاراتهم الى غزة ، والكرك (٢٠) . فكانت تلك الحركات بمثابة جس لقوة الدولة المملوكية ، ومدى رد فعلها ازاء فقدانها اقليمها الشمالى .

وسارع هولأكو بارسال رسله الى مصر بكتاب كله وعيد وتهديد ، وانذار بالويل والثبور لسلطان مصر المملوكى ان هو لم يخضع له ويعترف بسلطان المغول (٢١) .

غير أنه من سوء حظ المغول أن توغلهم فى فلسطين اثار دولة اسلامية كبيرة لم تتعرض للهزيمة ، وهى دولة المماليك فى مصر ، اذ

أضحى المماليك وقتئذ من الصلاحية والسلامة ما يجعلهم يقبلون تحدى المغول (٢٢) .

والمعروف عن هؤلاء المماليك أنهم كانوا فى الأصل غرباء عن البلاد وأهلها ، وهم من أصل تركى فى الغالب (٢٣) ، اضطروا الأيوبيون إلى الاستعانة بهم ، فكانوا يشترونهم بالأموال ، ويجعلونهم نواة جيوشهم . وماهى إلا فترة وجيزة حتى نشأ بين زعماء هؤلاء الصنائع جيل جديد ، استطاع أن يستأثر بملك البسلاد ١٢٥٠م / ١٢٤٨م . وفى الفترة التى نؤرخها كان السلطان المملوكى « قطز » ثالث هؤلاء المماليك هو الذى يحكم فى القاهرة (٢٤) .

والجدير بالذكر أن هؤلاء المماليك جلبوا إلى مصر أطفالاً صغاراً ، فنشأوا وسط بيئة عربية خالصة ، وتعلموا منذ نعومة أظفارهم اللغة العربية ، وتلقوا أصول الإسلام على أيدي مجموعة مختارة من الفقهاء والمشايخ العرب ، فشبوا لا يعرفون ديناً غير الإسلام ، ولا وطناً غير الوطن العربى . وبعبارة أخرى فإن هؤلاء المماليك قد استعربوا منذ طفولتهم ، وتشربوا العروبة وروحها منذ حداثتهم ، فصاروا جزءاً لا يتجزأ من المحيط العربى الكبير ، وأخذ يحسون بالحاسيس نفسها التى شعر بها معاصروهم من العرب جميعاً نحو الأخطار الخارجية الكبرى التى حددت الوطن العربى الكبير فى ذلك العصر ، فوضعوا أيديهم فى أيدي أبناء مصر والشام ، وسار الجميع تحذوهم فكرة الجهاد فى سبيل الله ، الوقوف صفاً واحداً فى وجه المغول العدو للدود للمسلمين (٢٥) .

والحقيقة أن الملك المظفر قطز تولى السلطة فى ظروف لا يحسد عليها حاكم ، حيث كان عليه أن يتصدى للمغول والملك الناصر صلاح الدين يوسف (٢٦) صاحب دمشق ، الذى استنجد بهولاكو للقضاء على حكم المماليك بمصر (٢٧) . غير أن الناصر أدرك خطأ اتصاله بأعداء المسلمين من المغول ، عندما غزا المغول حلب ، وهرب أكثر سكانها إلى دمشق (٢٨) . فأراد أن يحسن صورته أمام العالم الإسلامى ، فأرسل إلى القاهرة رسالة طلب فيها من الملك المظفر قطز المساعدة العسكرية لمواجهة العدو المشترك (٢٩) .

والمواقع أن قطز أظهر دهاء وحكمة سياسية في سبيل توحيد كلمة المسلمين في مواجهة المغول ، فسارع بإرسال رسالة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يتودد فيها إليه ، ويقسم بالأيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه ، وأضاف أنه - المظفر - مأهول إلا نائب للملك الناصر بمصر وأنه متى قدم الناصر إلى مصر أقعده قطز على كرسى السلطة ، وكتب المظفر قطز في رسالته إلى الملك الناصر يقول : « وإن اخترتني لخدمتك ، وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكر صحبة من تختاره » (٣٠) . ويعد هذا الخطاب الطمأنينة في نفس الناصر ، وأظهر بوضوح حرص قطز على وحدة العالم الاسلامي .

على أية حال ، تطورت الأحوال في مصر في هذه الظروف بسرعة وكانت البلاد في تلك الآونة تحت حكم الملك المنصور على بن المعز أيبك التركماني ، وكان صغير السن ضعيف الشخصية ، هذا في الوقت الذي كان فيه سيف الدين قطز نائباً ، له مكانة كبرى وبلغ شأواً عظيماً ، وصار الشخصية البارزة في البلاد نتيجة صغر سن السلطان الملك المنصور على من ناحية ، ولكثرة أنصار واتباع قطز من ناحية أخرى . فرأى قطز أن مقاومة المغول لا تتم والأحوال بمصر على حالها ، حيث يحكم البلاد سلطان صغير لا يستطيع القيام ، بواجب الجهاد ضد العدو . ومن ثم جمع قطز الأمراء والأعيان بالديار المصرية ، وذوى الرأي والمشورة . كما حضر هذا الاجتماع كمال الدين بن العديم سفير الملك الناصر وأخبرهم قطز : أن الملك المنصور هذا صبي لا يحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب . ولا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل فرد ، ويستطيع التصدي للمغول ، وينتصب للجهاد ، فأجابته الجميع ، ليس لها غيرك . ومن ثم يتضح لنا أن قطز نجح في اقناعهم وجمع صفهم ، والقضاء على روح الفرقة . ثم قام بالقبض على الملك المنصور على ، وخلعه من السلطنة . ثم بعد ذلك اعتقل بالدور السلطانية في قلعة الجبل . أما بالنسبة لقطز فقد بويج سلطاناً على البلاد المصرية ، ولقب بالملك المظفر سيف الدين قطز ، وبذلك استقر الأمر له ، وأقسم الناس يمين الاخلاص ، والولاء للسلطان الجديد . وكان ذلك يوم السبت السابع عشر من شهر ذي القعدة ٦٥٧هـ / نوفمبر ١٢٥٩م ، فلما استتب الأمر للسلطان قطز شرع في الاستعداد لقتال المغول (٣١) .

توخوا الى ذلك الوقت ، أخذ كئسير من المماليك البحرية ، الذين
هربوا من القاهرة ، أيام أيبك خوفاً من أن ينالهم ما نال أقطاي ، ويقوا
فى منتصف الدويلات الشامية الأيوبية . وفى بلاط دولة سلاجقة الروم
بآسيا الصغرى ، أخذوا يغدون الى القاهرة ، بعد أن انتشر المغول بأكبر
مدن الشام ، وهددوا آسيا الصغرى نفسها . ونسى هؤلاء المماليك
مخاوفهم ، ونسى قطز مخاوفه كذلك . فرحب بمقدمهم ، ومنحهم
الاقطاعات الجلييلة الواسعة ، فصار المماليك بذلك كتلة واحدة متحدة .
وتلك الظاهرة تتكرر كثيراً فى صفوف المماليك إبان الأزمات التى تعرضت
لها دولتهم فى تاريخها الطويل . ومن ضمن المماليك الذين رجعوا الى
القاهرة والقائلين بوجوب مقاتلة المغول ، الأمير بيبرس البندقدارى (٣٢) ،
الذى استقبله قطز مرحباً ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وأنزله بدار الوزارة (٣٣) ،
واقطعه قليبوب وأعمالها (٣٤) .

ولما تسلم السلطان المظفر قطز الانذار من المغول عقسد اجتماعا
للأمراء واعطاهم انراى والمشورة فقال لهم : « لقد توجه هولاكوخان من
توران الى ايران ، بجيش جرار ، ولم يكن لآى مخلوق ، من الخلقاء
والسلطان والملوك ، طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ،
ثم جاء الى دمشق ، ولو لم يبلغه نعى أخيه للحق مصر بالبلاد الأخرى .
ومع هذا فقد ترك فى هذه النواحي كتبغا الذى هو كالاسد الهصور ،
والثنين القوى فى الكمين . وإذا قصد مصر فلن يكون لأحد قدرة على
مقاومته فيجب تدبر الأمر قبل قوات الفرصة . وقال الأمير ناصر الدين
القيصرى : « ان هولاكوخان فضلا عن أنه حفيد جنكيزخان ، وابن تولوى ،
وأخو منكوقا آن ، فان شهرته وهيبته فى غنى عن الشرح والبيان . وأن
البلاد الممتدة من تخزم الصين الى باب مصر كلها فى قبضته الآن . وقد
اختص بالتأييد السماوى ، فلو ذهبنا اليه لطلب الأمان فليس فى ذلك
عيب ولا عار ، ولكن تناول السم بخداع النفس ، واستقبال الموت ،
أمران بعيدان عن حكم العقل ، انه ليس بالإنسان الذى يطمأن اليه ،
فهو لا يتورع عن اجتزاز الرؤوس ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه
قتل فجأة خورشاه والخليفة ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ، بعد
أن أعطاهم العهد والميثاق ، فاذا ما سرنا اليه ، فيكون مصيرنا هذا
السبيل » .

فقال قطز : « والحالة هذه فإن كافة البلاد فى ديار بكر وربيعة ، والشام ممثلة بالمناحات ، والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خراباً يباباً ، وقضى على ما فيها من حرث ، ونسل ، فخلت من الأرواح ، والأبقار ، والبذور . فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقمنا بمقاومتهم فسوف تخرب مصر خراباً تاماً كغيرها من البلاد ، وينبغى أن تختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا واحداً من ثلاثة : الصلح ، أو القتال ، أو الجلاء عن الوطن ، أما الجلاء عن الوطن ، فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفرأ الا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » . فأجاب ناصر الدين القيصرى : « وليس هناك مصلحة أيضاً فى مصالحتهم اذ أنه لا يوثق بعهودهم » . وقال أيضاً بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم ، فمر بما يقضيه رأيك » . عندئذ قال قطز : « ان الراى عندى هو أن نتوجه جميعاً الى القتال ، فإذا ظفرنا فهو المراد ، والا فلن نكون ملومين أمام الخلق » . واتفق رأى امراء على القتال ، ثم اختلى قطز مع بيبرس البندقدارى الذى كان أميراً للأمراء وشاوره فى الأمر ، فقال بيبرس : « انى أرى أن نقتل الرسل ، ونقصد كتبنا متضامين ، فإن انتصرنا أو هزمنا فسوف تكون فى كتبنا الحاليتين معذورين » (٣٥) .

وكان رد قطز على تهديد هولاء واضحاً ، اذ قبض على رسل المغول ، وأعدمهم توسطاً (٣٦) . فوسط واحداً بسوق الجبل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر زويلة ، وسط الثالث بظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية ، وعلق رؤوسهم جميعاً على باب زويلة ، وأبقى المظفر قطز على صبي من الرسل جعله من جملة مماليكه (٣٧) .

قبول المعركة :

كشف الاجتماع الذى دعا اليه قطز فور تسلمه للانذار المغولى عن وجود اتجاهات مختلفة وهى : (ا) الانسحاب من مصر الى قطر آخر (لم يذكر اسمه) (٣٨) . (ب) عدم التعرض ، والدفاع عن مصر عند دخول الجيش المغولى حدودها الاقليمية (٣٩) . (ج) المباداة بالتعرض ، على أساس أن الدفاع عن مصر لا يكون الا فى خارجها أى فى فلسطين

بالذات ، بوصفها مفنح مصر ، وبوابيتها الوحيدة فى الشرق . ولقد نجح قطز بتخريض ، وتشجيع من فائده بيبرس فى تغليب الخيار الأخير ، واتخاذ القرار بقبول المعركة . وبعد انتهاء الاجتماع ، أمر السلطان قطز باعدام الرسل الذين حصلوا رسالة هولاكو اليه واسترقاق احدهم (٤٠) . وبذلك أعلنت القيادة المصرية رغبتها فى قبول المعركة الى آخر مدى .

واستندت القيادة المصرية فى موقفها هذا الى ما يأتى : (أ) وجود قوات عسكرية كبيرة فى مصر ، يمكن - أن أحسنت قيادتها وتعبئتها عسكرياً ومعنوياً - أن تكون بمستوى يكفل لها تحقيق النصر . (ب) معرفة القيادة المصرية التامة بالطرق الداخلية لبلاد الشام ، وهى التى يمكن أن يسلكها جيش المغول فى أى تقدم مقبل ، وفهمها العميق لطبوغرافية هذا الاقليم ، وخصائصه المختلفة ، ويمكن ان نذكر هنا أن العديد من القادة والجنود المصريين سبق لهم أن خاضوا معارك مهمة فى فلسطين فى أواخر حكم الأيوبيين ، أى قبل الاحتلال المغولى بمدة قصيرة . (ح) وجود استخبار مصرى قوى فى هذا الاقليم ، عماله القبائل العربية الموجودة فيها ، وبخاصة فى فلسطين ، وعدد من الزعماء والأفراد الموالين لمصر ، والذين يعدون أنفسهم ، مازلوا مرتبطين ادارياً وروحياً بسلطتها المركزية على الرغم من تعرض اقليمهم الى الاحتلال . (د) انحياز السكان من ابناء المدن وأهل القرى الى الجانب المصرى ، ونفورهم الشديد من الاحتلال المغولى وأدواته . (هـ) قصر خطوط الامداد المصرى نسبياً ، وقرب الجيش - عند وجوده فى فلسطين - من مناطق تحشده فى الريدانية (قرب القاهرة) ، والصالحية (فى شرقها) . (و) عدم وجود خيار أمام القيادة المصرية سوى القتال ، إذ لم تعد ثمة قوى خارجية يمكن أن تمد اليها يد المساعدة العسكرية ، ولذا فان عليها تحقيق أقصى النتائج اعتماداً على قواها الذاتية فحسب (٤١) .

التعبئة النفسية :

(أ) أولت القيادة المصرية اهتماماً واسعاً لهذا الجانب نظراً لحالة التداعى العام ، الذى أصاب معنويات العسكريين ، والسكان عامة ، اثر

وصول انباء اكثاساح المغول للجيش الاسلامى فى المشرق واحتلالهم العراق وبلاد الشام . . وكانت حالة من الياس ، قد تسربت الى نفوس القادة انفسهم ، فغذوا عاجزين عن اتخاذ قرار محدد بشأن الخطر الدايم ، وبما ان معظم الجيش المصرى كان يتالف من كتائب ، كل منها يأمره قائد يتولى تدريبهم ، واطعامهم ، واسكانهم بوصفه مالكهم ، فقد كان لزاما على السلطان قطز ان يحصل على ولاء أولئك القادة ، ثم موافقتهم على مبدأ قبول المعركة .

(ب) قاوم قطز الاتجاهات الانهزامية التى تمثلت فى مواقف معظم القادة الذين حضروا مجلس الحسرب المنعقد فى ١٢ شعبان ٦٥٨/٢٤ يوليو ١٢٦٠م . وكان اعدامه للرسائل ذلك اليوم ، يمثل حركة بارعة لتقوية الجبهة الداخلية ، اذ قطعت سبيل التراجع على القادة المترددين ، ووضعتهم امام امر واقع ، لا مفر من مواجهته ، وظهرت جدية القيادة على سلوك الطريق العسكرى لحل الازمة ، وانقاذ الوطن ، كما ساهمت من ناحية اخرى فى تبييد هيبة المغول فى اعين الشعب .

(ج) وكان لخطبه الحماسية أثرها فى رفع الروح المعنوية . من ذلك قوله للأمراء المترددين : « يا أمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون بيت المال وانتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختار ذلك يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » (٤٢) . وكان يلتقى أحيانا بالأمراء المخلصين لقضية الحرب والقتال ، فيدير معهم خطة الاجتماع العام بالأمراء المترددين ، حتى اذا عقد الاجتماع ، وتحدث اليهم فى أمر القتال ، كان التأييد والخماس من قبل أنصاره وأمرائه ، سلاحاً أدبياً للضغط على هؤلاء المترددين وكسبهم لصف المعركة والقتال (٤٣) .

وفى أحيان أخرى ، كان يخرج ليلا فى عسكره ، ويصبح فى الأمراء قائلاً (أنا خارج القى التتار بنفسى) (٤٤) . حتى جاء اليوم الذى جمعهم فيه « وحضهم على قتال التتار ، وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبى ، والحريق ، وخوفهم من وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتار ، ونصر الإسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة

الله ، فضجوا بالبكاء ، وتحالفوا على الاجتهاد فى قتال التتر ،
ودفعهم عن البلاد » .

(د) واطافة الى خطب قطز فى القادة والامراء ، توجه الى
الشعب مباشرة ، اذ ارسل المنادين يطوفون انحاء العاصمة والاقاليم
يدعون الناس الى « الخروج الى الجهاد فى سبيل الله ، ونصرة لدين
رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٥) . فيذكرون بذلك روح
القتال ، والتصدى للعدو ، ويغرسون الثقة بامكان النصر .

التعبئة الاقتصادية :

يمكن ايجاز اجراءات التعبئة الاقتصادية فيما يلى : (ا) تم تحويل
جزء كبير من موارد الدولة لصالح المجهود الحربى ، ففرضت ضرائب
جديدة ، ذات طابع تصاعدى ، على فئات الشعب ، واستوفيت ضرائب
تقليدية أخرى ، كالزكاة مثلا بصفة عاجلة . كما استوفى بدل نقدى عن
كل ذكر لم يشترك فى القتال ، بل عن النساء أيضا من سكان
العاصمة (٤٦) ، فبلغ جملة ما جمعه من الاموال ، من اجل المعركة ،
نحو ٦٠.٠٠٠ دينار وهو مبلغ ضخم باعتبار ذلك الوقت ، انفق جميعه
على (العسكر والعربان) (٤٧) . اى على تدريبهم ، واعدادهم وتزويدهم
بالأسلحة والمهمات ، وشراء الخيل والابل والبغال ، وما
يتصل بذلك من شؤون . (ب) فرضت اجراءات تقشفية ضرورية ، لتقليل
نفقات الدولة فى الأمور السلمية ، وتقلص مظاهر الترف لدى الفئات
الثرية ، ولاسيما بين القادة والامرين (٤٨) . وفعل ذلك كله بعد أن أخذ
رأى رجال الدين الذين اشترطوا عليه أولا احضار ماعذته ، وعند حريمه ،
وما عند الامراء من الحلى وضربها سكة ونقدا وتفريقها على رجال
الجيش ، فان لم تقم يكفايتهم جاز أن يفرض ضرائب جديدة على
الرعية ، وان يقترض من أموال التجار ليستعين بذلك على مجاهدة
اعداء الدين . وامثل قطز لرأى رجال الدين ، ولم يشرع فى جمع
اموال من المصريين الا بعد أن احضر هو والامراء ما عندهم من الحلى
والاموال بين يدى الشيخ عز الدين بن عبد السلام اقوى رجال الدين مكانة
فى ذلك الوقت (٤٩) ، والذي رفض اصدار فتوى بجمع الاموال الا اذا
تساوى المالك مع عامة المواطنين المصريين فى النفقات . وكان مما

قاله لقطز : « اذا لم يبق فى بيت المال شىء ، وأنفقتم الحوائص الذهب ، ونحوها من الزينة وساويتم العامة فى الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجنود الا فرسه التى يركبها ساغ أخذ شىء من أموال الناس فى دفع الأعداء ، الا انه اذا دهم العدو وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم » (٥٠) .

التعبئة العسكرية :

كان اعلان القيادة المصرية حالة النفير العام (٥١) يمثل فى جوهر الامر - الرد المباشر على شروط المغول ، وخطرتهم ، ولم تكن مصر قد شهدت نفيرا عاما - على هذا النحو - من قبل . ورغم أن المصادر التاريخية تشير الى أن اعلان النفير جاء بعد قتل رسل المغول (٥٢) ، فمن الواضح أن استعدادات كهذه ، بدأت قبل ذلك بمدة غير قليلة ، وقد بدأت فى الغالب عند وصول أنباء احتلال دمشق الى القاهرة ، اذ يشير المؤرخ ابن تغرى بردى الى أنه حينما وصلت غارات المغول الى غزة ، وبلد الخليل كان (السلطان الملك المظفر قطز ميلطان مصر يتهيا للقاء التتار) (٥٣) .

وقد اتخذت اجراءات حساسة ضد كل من يتخلف عن الالتحاق بالخدمة من العسكريين (الجناد) الا أننا لا نعلم ماهى الاجراءات التى اتخذت بحق من لم يستجب للنفير ، وان كان يفهم من قبول دفعهم البديل النقدي ، أن انضمامهم للجيش كان على سبيل التطوع لا الالتزام . اما القبائل فقد جرى استنفارها عن طريق دعوة زعمائها وجمع كلمتهم فى « بعث انيهم بالعطايا ، وازاح العلل اى المظالم » (٥٤) .

قوى الطسرفين :

الواقع أن مسألة تقدير أحجام الجيوش فى العصور الماضية مشكلة حقيقية للباحث فى التاريخ العسكرى ، وذلك لسكوت المؤرخين احيانا عن الاشارة الى أعداد الجيوش المتحاربة ، واكتفائهم بإيراد أوصاف عامة مبهمه ، أو انهم يشيرون الى عدد جيش ما ، ولكنهم يغفلون عن ذكر عدد الجيش المقابل ، وتأثير الروايات الخاصة بهذا الشأن ،

بالعوامل النفسية ، والمعنوية لأصحابها ، فالتحويل فى ععدد القوات المعادية ، يقصد به عادة اظهار بسالة القوات الوطنية ، والتقليل من عدد الأخيرة ، يعطى تبريراً لانكسارها فى معركة ما . وبالجملـة فإن من الصعب جداً الاطمئنان الى التقديرات المتوفرة - وهى قليلة - ويبقى للمؤرخ مجال واسع فى اعادة تقويمها على ضوء المعطيات التاريخية الأخرى (٥٥) .

الجانب المغولى :

قوة المغول فى حجم الجيش ، وفى الخبرة العسكرية ، وفى القيادة ، وفى السلاح . ويمكن ذكر كل على حدة : (١) حجم الجيش : لا تقدم المعلومات المستقاة من الجانب المغولى أى تقدير لحجم الجيش المغولى فى عين جالوت ، ولكن المؤرخ الأرمنى المعاصر ابن العبرى (٥٦) يشير الى أن عدد أفرادـه بلغ ١٠٠.٠٠٠ عشرة آلاف فارس ، وأن هذا العدد ، يقل كثيراً عن أفراد الجيش المصرى . ونحن نشك فى هذا التقدير للأسباب التالية :

أولاً : أن قائد الجيش المغولى كتبغا ، كان يحمل أعلى رتبة عسكرية مغولية وهى (نوين) ، ولا تناط به الا المهمات الكبرى ، ويتلقى أوامره من هولاكو نفسه . وهو مع ذلك صديقه وصهره ، فلا يعقل أن يتولى قائد بهذه الرتبة ، والمنزلة قيادة جيش صغير .

ثانياً : يشير ابن العبرى فى موضع آخر الى أن العشرة آلاف فارس ، هى جيش كتبغا عند دخوله بلاد الشام ، ومباشـرته احتلالها ، وليس عند نشوب معركة عين جالوت فحسب . وهذا العدد بالغ القلة اذا ما نظرنا الى جسامـة المهمة المطلوب منه أدائها ، وهى المشاركة الفعالة مع هولاكو فى احتلال العديد من المدن الشامية ، وكلها محصن ، ومنيع ، ويحتاج الى جنود كثيرة لاحتلاله .

ثالثاً : تذكر الروايات المصرية أن كتبغا جمع كل من تفرق من التتر فى بلاد الشام ، وتعنى بذلك جنود الحاميات المغولية التى انبط بها تثبيت سلطة الاحتلال ، وحماية رموزه ، وجباية الأموال بالقوة ،

ولاشك في أن عدداً كبيراً من المغول كانت تستوعبه تلك الحاميات نظراً لكثرة المدن الشامية .

رابعاً : إن غلبة الطابع العسكري على دولة المماليك الحاكمة في بلاد الشام ، وحيازتها تراث الأيوبيين العسكري الحافل ، وتجارب الحروب ضد الصليبيين ، تجعل من غير الممكن أن يحتل كتبغا بلاد الشام كلها بعشرة آلاف جندي فحسب ، ثم يتوجه إلى مصر ، وهي قاعدة الدولة ، وفيها جيوشها ليجتلبها بما تبقى له من هذا العدد (٥٧) .

خامساً : يذكر ابن تغرى بردى أن كتبغا (جمع من في الشام من النار وغيرهم) (٥٨) . مما يشير إلى وجود قوات غير مغولية إلى جانب الجيش المغولي . ومع أن أحداً من المؤرخين العرب ، لم ينوه بحقيقة هذه القوات ، إلا أننا نعلم - بناء على المعلومات التي تقدمها المصادر الصليبية المعاصرة - أن كتائب من الأرمن ، والكرج كانت بصحبة جيش المغول في معركة عين جالوت (٥٩) . فلقد رأى هؤلاء في المعركة فرصة للانتقام من الجيش المصري الذي سبق أن نكل بمن تعاون منهم مع الصليبيين .

سادساً : إن استخدام القيادة المصرية مبداً التعرض غير المباشر ، والمناورة التي أجرتها ضد الجيش المغولي ، يشير إلى نوع من تكافؤ قوى الطرفين ، وهذا ينفي أن تكون القيادة المصرية قد استصغرت جيش كتبغا . وبما أن الجيش المصري الذي خرج من مصر محارباً كان يمثل أقصى ما يمكن أن تعبئه الدولة من جند ، يصبح من المعقول القول بأن جيش المغول كان ضخماً ، وافر العدد هو أيضاً .

سابعاً : إن الرتبة العسكرية لكتبغا هي (نرين) ، وتعنى حرقياً مقدم عشرة آلاف ، وربما على هذا استند ابن العبري في تقديره ، على أن هذا الرقم اصطلاحى (٦٠) محض في أغلب الأحيان . فمن الممكن دائماً زيادته على حسب جسامه الهدف المراد تنفيذه ، وكون أولئك المقاتلين من الخيالة النظاميين ، يعنى وجود أعداد إضافية غير يسيرة ، من الخيالة غير النظاميين . وقد علمنا أن بعضهم كان يشكل كتائب كاملة من الأرمن والكرج ، ومن الجنود النظاميين ، وهم من المشاة ،

والرماة ، والفيلة ، وحملة الأثقال ، التى تضم الدروع ، والأسلحة ، والأرزاقي . خاصة وأننا نعلم أن كتبغا جمع إلى خياله قوات الحاميات المغولية فى مدن الشام ، وعلى هذا الأساس ، ووفقا لتقديرات خاصة بمعارك قريبة سابقة ، يمكن القول بأن عدد أفراد الجيش المغولى لم يكن يقل عن ثلاثين ألفا من الخيالة والمشاة (٦١) .

(ب) الخبرة العسكرية : كان الخيالة النظاميون فى جيش كتبغا ، من القوات التى أفرزت بالأصل من قوات جنكيزخان ، فى أواسط آسيا . ومعنى ذلك : أنها لم تحل إلى بلاد الشام إلا بعد خوضها معارك عديدة ، واختراقها أراضى واسعة متنوعة التضاريس والشعوب ، وقضاء نحو ثمانى سنوات كاملة - على الأقل - فى التعامل مع جيوش إسلامية بما فى ذلك التعرف على طرق قتلها ، وخططها ، وترتيبها . على أن لنا أن نلاحظ أن معظم تلك الحركات كانت تتمثل فى حصار المدن ، والقلاع ، واقتحامها ، لا الاشتباك فى ميادين قتال فسيحة ، ومن الواضح أن دور المهندسين العسكريين والفيلة من منجنيقين ، ورماة ، ونقابين ، وناصبى جسور ، ورمى خنادق ، يبدو أكثر بروزا فى تلك المعارك ، بينما يقل دورهم أو يتلاشى فى معارك تجرى فى ميادين قتال فسيحة ، ومع ذلك فقد أظهر المغول ، فى عدد من معاركهم خبرة واسعة بفنون المناورة ، وبخاصة المناورة بضرب الجناح ، حيث استخدموها بنجاح فى معركة سمرقند ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وفى معركة دجيل ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

(ج) القيادة : تولى قيادة الجيش بأمر من هولاكو الأمير كتبغا (وتكتب أحيانا : كتبوغا ، وكتبوبوقا) ، وهو صهره (٦٢) ، وأحد القادة الكبار الذين صحبوا هولاكو ، منذ تقدمه من أواسط آسيا ، وتميز بأنه كان يتولى قيادة فرقة المقدمة دائما ، وهى أهم فرق الجيش المغولى وأكثرها فعالية ، إذ تقوم بالاستطلاع ، وبمهمات تعرضية سريعة فى الوقت نفسه ، وقد سبق أن قامت بحركات واسعة احتلت على أثرها خراسان ، ولورستان ، والعراق ، والاحواز . وكان كتبغا على ميسرة جيش هولاكو يوم احتل بغداد ، وقد احتل بجيشه معظم مدن الشام ، فكفلت له هذه السيرة خبرات واسعة فى سوق الجيوش ، ووضع المخطط المناسبة ، وإدارة المعارك ، واستثمارها حتى وصف بأنه كان (خبيرا (مصر تاهرة المغول)

بالحروب والحصارات ، وافتتاح الحصون ، والاستيلاء على الممالك (.
وكان هولاء (يثق به ولا يخالفه فيما يشير به) (٦٣) . ومن القادة
الآخرين الذين عملوا تحت امرة كتبغا فى الشام - وفى معركة عين
جالوت خاصة - (بايدر) ، وقد قاد طليعة الجيش . وثمة أمراء أو
قادة آخرون نوه بهم ابن العنيد ، اذ قال فى معرض كلامه عن أسر من
المغول (وجماعة كثيرة من اعيانهم) (٦٤) .

(د) السلاح : تميز الجيش المغولى باعتماده على كتاب الخيالة
فى مناوراته المختلفة ، وكان الجواد المغولى صغيرا فى حجمه ، ولكنه
يتميز عن بقية اجناس الخيل بسرعته الفائقة ، وصبره ، وصلابته
الشديدة . وللجندى خمسة جياذ بدل (٦٥) . وكان الرمح ، وهو سلاح
الخيالة والمشاة على حد سواء ، يتميز بالقصر بالنسبة للرمح العربية .
ولا تشير المصادر الى وجود مشاة ضمن الجيش المغولى . ولكن من
المفترض أنهم كانوا موجودين ، اذ ترد الاشارة الى (رماة السهام)
ككتلة رئيسية فى الجيش ، وهم من المشاة بالطبع ، يضاف اليهم حاملوا
السيوف ، والهروات ، والرماح والدبابيس ، وناقلو المعدات ، والارزاق ،
ولا توجد معلومات عن نسبة الخيالة الى المشاة .

الجانب المصرى :

ان قوة الجانب المصرى فى حجم الجيش ، وفى الخبرة العسكرية ،
وفى القيادة ، وفى السلاح ، ويمكن ذكر كل على حدة :

(ا) حجم الجيش : تسكت المصادر التاريخية - حتى المصرية
منها - عن تقدير أى حجم للجيش المصرى الذى خاض معركة
عين جالوت ، وتكتفى بعض الروايات بالقول بأنه (مالا يحصى) (٦٦) ،
وأنه (خلق عظيم) (٦٧) ، وليس من سبيل لتقدير حجم الجيش ،
الا بدراسة مكوناته على النحو التالى :

أولا : الجيش النظامى ، ويتألف من ثلاثة أقسام هى : اجناد
الحلقة ، وهم قلب الجيش ، وقوته الضاربة ، ويبلغ عددهم فى مصر
وحدها ٢٤٠٠٠ ، وكل ١٠٠٠ منهم بأمرة مقدم . المماليك السلطانية ،

وهم اما ينتسبون الى السلطان القائم ، أو السلطان السابق ، أو الى الأمراء ، مقدمى الألواف ، ويبلغ عددهم نحو ١٦٠٠٠ ، مما لتلك الأمراء ، التابعون لامرائهم ، ويقدر عددهم بنحو ٧٠٠٠ (٦٨) فيصل المجموع الى نحو ٥٠٠٠٠ من الضباط ، والمراتب النظاميين . على أن هذا العدد كان نظريا بالدرجة الاولى ، فان أعدادا من الجنود التابعين للأمراء مقدمى الألواف ، أو التابعين لامرائهم ، كانوا يستطيعون التملص من الخدمة بوسائل شتى ، وكان على السلطة أن تجد فى طلبهم ، كلما بدأت الاستعدادات العسكرية تجرى فى البلاد . وقد أصدرت القيادة المصرية ، قبيل الخروج الى الحرب (لسائر الولاة بازعاج الأجساد فى الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع) (٦٩) .

ثانيا : القوات القبلية ، وتتألف من القبائل العربية فى مصر (٧٠) ، وبخاصة فى نواحي محافظتى الشرقية والغربية (الوجه البحرى) ، وقد يصل عدد ما تقدمه الى نحو ٢٠٠٠٠ . وقبائل التركمان والأكراد المقيمة فى مصر ، منذ عهد الأيوبيين أو اللاجئة الى مصر بعد تعرض مواطنها للاحتلال المغولى ، وقد بلغ عدد جماعة الشهرزورية وحدها ، وهم اكراد عراقيون نحو ٣٠٠ مقاتل (٧١) .

ثالثا : المتطوعون من أبناء المسدن ، وهم الذين استجابوا للنفير العام .

رابعا : بفايا "الجيش المحلية فى بلاد الشام ، وهى المعروفة بـ (عساكر الشام ، ويضم عددا من الضباط ، والمراتب الذين كانوا فى الخدمة العسكرية لبعض الحكومات المحلية فى تلك البلاد ، والذين اضطروا الى الانسحاب الى مصر ، قاعدة الدولة المركزية آنذاك . ويبلغ عددهم فى بلاد الشام نحو ٢٤٠٠٠ (٧٢) . ومن المحتمل أن بضعة آلاف من هذا العدد اتاحت لهم فرصة الانسحاب الى مصر ، والانضمام الى جيشها ، منهم من كان بخدمه الملك المنصور صاحب حماه ، وأخيه الأفضل على .

ان ملاحظتنا بشأن عسدد الجنود الفعلى فى الجيش النظامى تجد لها مجالا أوسع للتحقق بالنسبة للقوات القبلية ، والمجموعات

المسلحة غير النظامية ، فقد اعتادت هذه الجماعات على أخذ رواتبها على شكل صفقات بحسب كثرة عدد أفرادها ، وعليه فإن من المعقول القول بأن عدد أفرادها الفعلى كان يقل عن عددهم النظرى فى سجلات الدولة الرسمية الى حد كبير .

خامسا : ويمكن القول ببناء على ما تقدم ، وعلى ضوء التجارب العسكرية القريبة السابقة بأن عدد أفراد الجيش المصرى فى معركة عين جالوت كان يزيد على ٤٠.٠٠٠ وقد يصل الى ٥٠.٠٠٠ من الخيالة والمشاة ، وحملة الأثقال (المعدات) (٧٣) .

(ب) الخبرة العسكرية : وكان المماليك كما وصفهم كاتب معاصر (فرسان الاسلام المحترفين للحرب فى تلك العصور) (٧٤) . فجميعهم قد حاز تدريباً عسكرياً عالياً ، وموحداً فى ثكنات نظامية فى القاهرة ، استغرق الشطر الأعظم من حياته ، ومعظمهم خاض غمار الحروب الصليبية ، تحت قيادة أمراء أيوبيين محنكين ، وخبروا أساليب المناورة ، فضلا عن حصار المدن الحصينة ، وبخاصة الواقعة فى فلسطين والساحل السورى ، واكتسبوا فهما واسعا لطبوغرافية المنطقة . وزاد من معرفتهم هذه ، انضمام قوات سبق أن واجهت الجيوش المغولية فى ظروف متنوعة كالخوارزمية ، والشهرزورية ، وقوات شامية أخرى أكثر خبرة بأساليب قتال المغول فى بلادهم ، ولقد استفادت القيادة المصرية من تجمع هذه الخبرة ، فوظفتها لصالحها فى معركة عين جالوت توظيفا حسنا قاد الى النصر (٧٥) .

(ج) القيسادة : (أولا) تولى قيادة الجيش المصرى رئيس الدولة نفسه ، وهو السلطان المظفر سيف الدين قطز ، وكان أحد قادة المماليك الكبار فى أواخر عهد الحكومة الأيوبية ، وتولى نيابة السلطنة فى الفترة القصيرة التى سبقت تشكيل أمراء المماليك للحكومة العسكرية فى مصر . وعلى الرغم من عدم اقتران اسم قطز باسم معركة ما فإنه كان - على ما وصفه معاصروه - (شابا بطلا شجاعا ، دينيا ، غازيا ، مجاهدا ، محببا الى الرعية) (٧٦) . وأنه كان (حازما ، حسن التدبير) (٧٧) .

ثانيا : ويبرز الى جانب قطز ، اسم قائد عسكري محنك ، هو

ركن الدين بيبرس ، لعب دورا مهما ، بل حاسما ، فى الاعداد للمعركة ، وفى وضع خططها ، والمشاركة الفعلية فى قيادة الجيش المصرى ، ثم بمطاردة فلول المغول فى بلاد الشام كلها . وقد اقترن اسم بيبرس ، منذ أول حياته العسكرية ، بمعركة سريعة وناجحة ، انتصر فيها بقوة محدودة على جيش صليبي كبير ، قرب مدينة غزة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ، كما سجل انتصارا ساحقا على جيش صليبي آخر فى معركة المنصورة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م . وقد اثبتت المعركتان الخبرة العسكرية لبيبرس ، وحسن اختياره لوقت الهجوم ومكانه (٧٨) .

(د) السلاح : كان دور المشاة - فضلا عن عددهم أكبر من دور امثالهم فى الجيش المغولى ، ومن عددهم بنسبة غير يسيرة . وكانت تقاليد القروسية المملوكية تحتم وجود عدد من الاتباع لكل فارس . ومن الطبيعى أن يكون هؤلاء الاتباع مسلحين بالاضافة الى سائر المشاة من المسلحين بالسيوف ، والرماح ، والبطل ، والدبابيس . أما الخيالة فكانوا يمثلون القوة المدرعة ، والسريعة الحركة فى آن واحد ، فهم من جهة يتميزون بارتدائهم وجيادهم ، والدروع المحكمة ، التى نقلوها عن الصليبيين . ومن ناحية أخرى كانوا يستخدمون الجياد العربية الاصيلة المعروفة بقابليتها انفاثة على الحركة (٧٩) .

(حشد القوات المقاتلة)

الجانب المغولى : احتشد الجيش المغولى قرب مدينة بعلبك فى وسط سهل البقاع . وكان اختيار مكان تحشده هذا موفقا لأنه يتيح له فرصة استخدام الطرق الداخلية لبلاد الشام بسرعة وكفاءة ، اذ لا توجد حواجز طبيعية تذكر تفصل بين هذه المدينة ، ومدن فلسطين . وتم حشد الجيش المغولى الذى كان اصلا بقيادة كتبغا ، كما اضيفت اليه قوات الحاميات المغولية ، والقوات المتعاونة معها ، ولم تتخذ لستر التحشد - لمعرفة القيادة المغولية ببعد مواقع الجيش المصرى عن ساحة الحركات ، ولاستهانتها به - ولكن عدم اتخاذها أية خطة أدى الى تسرب اخبار الاستعدادات المغولية بصورة تفصيلية الى القيادة المصرية أولا بأولا . واتخذت منطقة تحشد أمامية فى منطقة غزة ، حيث اتخذت طليعة

الجيش المغولى بقيادة الأمير بايدر مواقعها لمراقبة الأحوال ، جنوبي فلسطين ، واستطلاع أى تقدم عسكري مصرى باتجاهها (٨٠) .

الجانب المصرى : اختارت القيادة المصرية بلدة الصالحية مكانا لتحشد الجيش ، وهى بلدة كان قد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م لأغراض عسكرية (٨١) ، فى أقصى الشرق من محافظة الشرقية ، على طريق (مدينة القنطرة الحالية) ، قرب قناة السويس ، واتخذت منطقة تحشد الجيش المصرى عند تقدمه باتجاه الشام فى أثناء الحروب الصليبية . وفى هذا المكان جرى استقبال حشود الفرسان (الخيالة) ، والأجناد (المشاة) ، والمتطوعين والقبائل . واتخذت التدابير لإكمال التشكيلات وتجهيز المواد والأسلحة ، ووسائل النقل ، وما يحتاجه الجيش من معدات ، وخدمات أخرى مقترنا بعمل مستمر على تعزيز المعنويات ، ورفع روح القتال ، والإيمان بالنصر (٨٢) .

التقدم عبر سيناء : وبعد أن (تكامل عنده العسكر) (٨٣) تقدم قطز بجيشه عبر شبه جزيرة سيناء ، سالكا طريقا صحراوية حديثة ، تقع الى الجنوب من الطريق التجارية المألوفة على ساحل البحر ، ويظهر أن اتخاذه هذه الطريق كان من أجل إخفاء أنباء تقدمه لمباغتته المغول فى فلسطين . وفى أثناء تقدمه ، دفع بمقدمة الجيش ، وهى من الخيالة التى يقودها ركن الدين بيبرس أمامه ، فتقدمت هذه بسرعة وخفة فائقة . وعبر طرق وفرت لها الأمن حتى وصلت غزة فى شهر رمضان ٦٥٨هـ / سبتمبر ١٢٦٠م (٨٤) .

المعركة

من الممكن تقسيم هذه العملية ، التى سماها المؤرخون معركة عين جالوت ، الى ثلاث صفحات رئيسية ، هى كما يلى :

- الصفحة الأولى : تحرير غزة والتقدم باتجاه عكا .
- الصفحة الثانية : معركة عين جالوت .
- الصفحة الثالثة : المطاردة ، معركة ميسان ، الاندفاع الى حمص .

(١) تحرير غزة :

أولا : الأهداف : (١) السبق فى الشروع بالعمل ، حيث أن تحريرها سيرغم القيادة المغولية على تغير خططها ، ومواجهة التقسّم المصرى بـخطة ارتجالية ، وهو ما حدث بالفعل فى الصفحة التالية . كما أن تحريرها من شأنه تعزيز معنويات الجيش الرئيسى المتقدم ، وإطلاق يده عند وصوله فلسطين فى توجيه الحركات بما يحقق الهدف ، خاصة وأنه ليس للمغول أماكن تحشد تالية حتى بعلمك . (٢) الحصول على المبدأ فى مجال الحركات العسكرية المقبلة (٨٥) ، بفتح المجال لتهديد مواصلات كتبغا إذا تقدم نحو فلسطين (٨٦) ، ومن ثم افتقاده حصرية العمل ، وحرمانه من فرصة تنفيذ خطته . (٣) ستر تقسّم الجيش الرئيسى ، واتجاه تقدمه . وتظهر الحوادث التاريخية التالية أن القيادة المغولية لم تميز بين مقدمة الجيش المصرى وسائر فرقته المتقدمة ، ولذلك عجزت عن تقدير الموقف بشكل صحيح (٤) . استطلاع تجمعات المغول ، ومدى استحضاراتهم (٨٧) .

ثانيا : التعرض المصرى على غزة : افتتح الجيش المصرى الصفحة الأولى من تعرضه ، فقد تحركت فرقة الخيالة بقيادة بيبرس ، واندفعت - بشكل مباغت - باتجاه مدينة غزة ، وطلب القائد المغولى فى المدينة بايدر من قائده كتبغا ، فى منطقة التحشد الرئيسية فى بعلمك ، إرسال تعزيزات عاجلة لانقاذ الموقف ، إلا أن الأخير اكتفى بأن أصدر أوامره الى بايدر بالموث فى مكانه والانتظار (٨٨) ، وبذل هذا الأمر على أحد الأمرين الآتين أو كليهما : (١) لم يكن لدى كتبغا فكرة واضحة عن عدد أفراد الجيش المصرى المتقدم ، فقدّر أن بإمكان بايدر مشاغلتة ، وكسب الوقت ريثما يصل هو ، بالجيش الرئيسى الى غزة . (٢) لم تكن معلومات كتبغا عن مراحل غزة - القاهرة دقيقة ، كما أنه لم يقدر الى أية مراحل كان الجيش المصرى قد وصل حينما أرسل بايدر رسالته (٨٩) . ولما كانت الأنباء قد وصلت الى القيادة المغولية فى غزة بأن جيشا مصريا يتقدم باتجاه فلسطين ، وقع فى خلدّها أن المقدمة التى يقودها بيبرس انما هى الجيش المصرى كله ، فأنمّحت بسرعة دونما قتال ، مخفية البلدة ، ثم تراجعت بسرعة للالتحاق بالجيش المغولى المحتشد فى بعلمك ،

وفى رواية مغولية (٩٠) أن بايدر اضطر تحت ضغط من الخيالة المصرية التى تعقبته الى التراجع حتى نهر العاصى .

(ب) التقدم باتجاه عكا :

أولا : بينما اندفع بيبرس بخيالاته معقبا القوات المغولية المتراجعة عبر الطرق الداخلية باتجاه الدفاع تقدم قطز بالقسم الأكبر من جيشه فوصل غزة ، حيث أقام بها يوما واحدا (٩١) ، ثم تقدم منها تجاه مدينة عكا . وسلك قطز الطريق الساحلية التى تمر بالمناطق الصليبية ، وبخاصة أراضي الامارة الصليبية فى عكا ، ولم يسلك الطرق الداخلية وهى التى اختارها المغول فى تراجعهم ، وذلك من أجل تحقيق الاهداف الآتية :

(١) ترك قوات بايدر المتراجعة فى تصورهما أنها تطارد من قبل الجيش المصرى كله ، بينما يقوم هو بمباغتته للجيش المغسولى الرئيسى شمالى فلسطين (٢) الحيلولة دون اجراء أى تعاون أو تنسيق بين القيادة المغولية داخل البلاد والقيادات الصليبية على الساحل ، ومن ثم منع المغول من فرصة تطويق الجيش المصرى المتقدم فى شمال فلسطين (٣) تحييد القوى الصليبية بحسب ذاته يمثل خطوة مهمة - اذ يمكن الجيش المصرى من الحفاظ على المبادأة ضد الجيش المغولى ، والقيام بعملية تطويق كبرى لهذا الجيش دون خوف من فتح جبهة جديدة ضد الصليبيين - اذا ما تقدم كتبغا باتجاه الجنوب ، أو قطع طرق مواصلاته فى الأقل ، اذا ما فضل البقاء فى منطقة تحشده فى البقاع ، أو فى جنوب سوريا (٩٢) .

ثانيا : وصل الجيش المصرى الى مشارف عكا ، حيث بذلت جهود دبلوماسية كبيرة من أجل الحصول على حياض الامارات الصليبية فى معارك الصفحات التالية . ونجحت الدبلوماسية المصرية فى تحقيق اهدافها بالاستفادة من التناقضات الجانبية التى ظهرت فى تلك الآونة بين الجيش المغولى والامارات الحليبية وتعميقها ، والتلويح بإمكانية استفادة الصليبيين من الغنائم المغولية التى سيبيعها لهم المصريون بسعر منخفض (٩٣) .

الصفحة الثانية : معركة عين جالوت :

(١) بوغتت قيادة الجيش المغولى بأنباء تقدم الجيش المصرى نحو عكا . وكانت أنباء تحرير غزة ، وتراجع الأمير بايدر بقواته ، قد أثارت الحنق فى نفس القائد العسام كتبغا مما اضطره الى ترك بعلبك بسرعة (٩٤) والاندفاع جنوبا باتجاه دمشق فى طريقه الى شمال فلسطين . وفى أثناء تقدمه ، وصلته أنباء حدوث ثورة شعبية فى دمشق ضد الحامية المغولية فيها ، (وربما بسبب سحب تلك الحامية وضمها الى الجيش الرئيسى) ، فاضطر مرة أخرى الى التأخر من أجل قمع الثورة وتوطيد السلطة المغولية (٩٥) ، ثم تقدم منها متخذا احدى الطرق الداخلية (ربما كانت طريق القنيطرة الحالية) باتجاه بحيرة طبرية . فاجتازت قواته نهر الأردن ، فى شمال البحرية المذكورة ، وتقدمت مستديرة حول ساحلها الغربى باتجاه منطقة عكا حيث يوجد الجيش المصرى .

ولما كانت أنباء تحركات الجيش المغولى تصل الى أسمع القيادة المصرية أولا بآول ، فقد غادر الجيش المصرى منطقة عكا بسرعة فى ٢٣ رمضان ٦٥٨هـ/أول سبتمبر ١٢٦٢م باتجاه الجنوب الشرقى ، فوصل عين جالوت فى ٢٤ رمضان الثانى من سبتمبر ١٢٦٢م ، حيث اختيرت المنطقة ساحة للمعركة المقبلة .

وافرز قطز فرقة المقدمة التى كان يقودها بيبرس ، وكلها من الخيالة ، لتعقب فلول بايدر المتراجعة شمالا من جهة ، ولأستطلاع تجمعات المغول وتحركاتهم من جهة أخرى ، وأسندراج الجيش المغولى الرئيسى الذى يقوده كتبغا نحو منطقة عين جالوت (٩٦) .

(ب) الوصف الطبوغرافى :

(أولا) : (عين جالوت) اسم لبلدة وصفها الجغرافيون العرب بأنها (بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين) (٩٧) . ومازالت خرائطها ماثلة حتى اليوم ، وتقع عند الضفة اليمنى لنهر الجالوت (أو جالوت) (٩٨) ، الذى يأخذ مياهه من عيون قرب زرعين جنوبى بلدة العقولة ، ثم ينساب حتى بلدة (بيسان) ، ومنها يمضى

ليصب في نهر الأردن (شمالى جسر الشيخ حسين) ، ويحيط بهذا
المجرى المائى واذا يبلغ طوله ١٧ كيلومترا ، ويتراوح عرضه بين كيلومتر
واحد وكيلا مترين تقريبا ، بينما يصل عرض النهر فى أقصى اتساعه
عند مصيه أربعة أمتار . ويمثل وادى جالوت هذا امتدادا طبيعيا لغور
الأردن ، مما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن المعركة جرت فى أرض
(الغور) نفسه (٩٩) . ويقع الوادى بين سلسلتى جبال الجليل وجبال
نابلس ، وفيه تمشى طرق المواصلات بين بيسان عند نهر الأردن ، وعكا
على البحر المتوسط . فالسيطرة على الوادى تعنى السيطرة على المنافذ
المؤدية الى فلسطين ، وعلى عقدة مواصلات جيدة تربط بين بيسان شرقا
والناصره شمالا ، وحنين جنوبا وعكا غربا (١٠٠) . (ثانيا) ويساعد
الوصف الذى أورده الروايات التاريخية عن المعركة ، على التعرف على
موقعها بدقة كبيرة . فالتل الذى أشير اليه فى روايات الذهبى ، واليونينى ،
لا ريب أنه الجبل المقابل لخرائب عين جالوت والمعروف حاليا بجبل
الدحى ، ويعترض هذا الجبل الطريق الداخلى الى الوادى تقريبا ، ويطل
عليه من جهته ، والجبال التى نوه بها المقرئى وأبو الفداء وابن الوردي
هى جبل جلبوع بروايبه المتدرجه من وادى الجالوت . أما مزرعة القصب
التي وصفت بأنها بالقرب من ساحة القتال ، فما تزال المنطقة حافلة
بأمثالها ، وتقع فى قعر الوادى من شرقيه ، ويمكن تحديد هذه المنطقة
بين خطى الطول ٢٠ و ٣٥ و ٢٥ و ٣٥ وخطى عرض ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ ،
٣٢ (١٠١) .

(ثالثا) استفادت القيادة المصرية من عدم توفر معلومات كافية لدى
العدو عن طبوغرافية المنطقة (١٠٢) فاختارت المدخل . الغربى لوادى
الجالوت ، ساحة قتال مثالية لها ، وأجبرت العدو على قبض على المعركة
فيها ، وتتميز هذه الساحة بعدة مميزات مهمة منها : (١) تشعب وادى
الجالوت فى مدخله الى عدة وديان قصيرة مما ساعد القيادة المصرية على
وضع خطة تعتمد مبدأ الالتفاف من وراء جيش العدو ، سائرة حركة
جيشها بالتلال العديدة التى تحيط بتلك الوديان . (٢) وجود جبل
مرتفع منفرد ، يتوسط تلك الوديان المتشعبة ، وهو جبل الدحى
ساعد المصريين على اتخاذه مقرا لقيادتهم ، ومكنا لفرقة القلب ، وقد

هياً ذلك الموقع الممتاز فرصة الاشراف الكامل على سير المعركة وتوجيهها ، كما ممكن القيادة من اخفاء قسم كبير من الجيش وراءه ، وحرم - فى الوقت نفسه - المغول من فرصة القيام بحسركة التفاف مقابل (١٠٣) .

(٣) وجود المستنقعات ومزارع القصب ، فى أسفل الوادى ، يعيق حركة الخيالة المغولية ، وينتجح للمشاة المصريين فرصة الالتحام بهم والاطباق عليهم (٤) عند السيطرة على قمم الجبال المحيطة بالوادى ، يصبح من الميسور التحكم الكامل بما يجرى فى الوادى نفسه ، ومن ثم منع العدو من القيام باى نوع من أنواع المناورة التى برع فيها .

(ح) الاهداف :

(اولا) الجانب المغولى : (١) ضرب اى احتمال ممكن تتولى القيادة العسكرية فى مصر توجيه تعرض ضد الجيش المغولى فى بلاد الشام (٢) تحطيم الجيش المصرى ، واذلال قادته من شأنه ان يمنع الشعب العربى فى المدن الشامية من اعلان الثورة على المحتلين المغول ، خاصة بعد ان كشفت ثورة دمشق عقب وصول انباء تحرير غزة اليها ، عن تحين السكان لمثل تلك الفرص (٣) تصفية القيادات العسكرية التى انسحبت من وجه المغول ، فى أثناء تقدمهم فى المشرق الاسلامى وبخاصة فى العراق وبلاد الشام ، وبانتت تعد العدة للثار منهم (٤) ضرب اى مجال للتعاون ، وتنسيق المواقف بين القيادة المصرية والموالين لها من القادة والزعماء فى بلاد الشام والجزيرة ، ومن ثم تأمين المغول لمفاتيح العراق الشمالى (٥) تأمين جانب السلطة المحتلة فى العراق نفسه ، بالقضاء على اى احتمال لاعادة توحيد الشام بمصر فى دولة قوية واحدة ، يكون ظهورها ايدانا بتغيير موازين القوى فى المنطقة لغير صالح المغول (٦) الثار لما حدث فى غزة ، عندما أجبرت قوات بيبرس ، القوات المغولية على اخلاء البلدة ، ومن ثم اعادة هبة المغول فى جنوبى فلسطين (١٠٤) .

(ثانيا) الجانب المصرى : (١) الاستمرار بالاحتفاظ بزماد المبادأة فى بلاد الشام ، عن طريق توجيهه ضربة قوية وسريعة بالجيش المغولى المحتشد فى شمالى فلسطين ، يكون من شأنها تشتيت قوة الخصم ، مما

يسهل أمر مطاردته وإبادته (٢) تحقيق النصر في شمالى فلسطين سيفسح المجال ، ويهيئ الظروف لقيام سلسلة من الحركات الثورية في مدن الشام والجزيرة ، تستهدف الاطاحة بسلطات الاحتلال والقضاء على الحاميات المغولية فيها (وهذا ما حدث بالفعل) . (٣) إعادة هئية الدولة في فلسطين ، وهى مفتاح مصر ، قلب الوطن العربى المتبقى آنذاك (٤) الحيلولة دون عقد أى تحالف بين المغول والصليبيين أو عدم السماح لهم ، باقتطاف ثمال هذا التحالف ، ان حصل فعلا (١٠٥) .

(د) خطط الطرفين :

(أولا) الجانب المغولى : تتلخص الخطة التى وضعها كتبغا ، كما كشف عنها سير القتال ، بما يأتى : (١) أحداث الارتباك فى أجنحة الموضع الدفاعى قبل بدء المعركة ، عن طريق قيام رماة السهام بتوجيه (عاصفة السهام) ، على جيش العدو ، نظرا لصعوبة الالتفاف ، على تلك الاجنحة بسبب استنادها الى جانب الوادى (٢) القيام بهجوم عام ، ثم تركيز الهجوم على قلب العدو وبهدف تفكيك عرى ترتيباته وشرطه الى شطرين ، ومن ثم الالتفاف عليهما معا (٣) ليست ثمة معلومات عن اتخاذ القيادة المغولية أية خطة بديلة عند فشل هذه الخطة .

(ثانيا) الجانب المصرى : (١) استدراج الجيش المغولى الى مدخل وادى الجالوت ، عن طريق اغرائه بوضع فرقة مصرية ذات قابلية حركة عالية ، فى مدخل ذلك الوادى ، ثم سحب الفرقة بسرعة ، ودورانها بشكل محورى على أحد جانبيها ، بهدف تشجيع الجيش المعادى على مطاردتها والتوغل فى الوادى . (٢) تثبيت الجبهة عن طريق تعزيزها بفرقة القلب (٣) حشد القوات الكبيرة وتوجيهها نحو جناح العدو ، فى حركة التفاف واسعة تتخذ من تل القيادة المتوسط محورا لدورانها ، وسترا لها فى الوقت نفسه (٤) الاطباق على العدو من مؤخرته ، فضلا عن مقدمته ، والالتحام به فى قتال ثابت ، يساعد على ذلك احاطته بالمستنقعات ومزارع القصب ، وسفوح الجبال التى يسيطر عليها المصريون (١٠٦) .

(هـ) سير القتال :

(أولا) قسم القائد قطز جيشه الى جناحين غير متكافئين حجما

وسلاجاً ، فجعل الجناح الأيسر عبارة عن فرقة خفيفة من الخيالة ، يقودهم بيبرس ، فى حين جعل الجناح الأيمن ، هو الأكبر (١٠٧) ، ويتألف من المشاة فضلاً عن الخيالة . أما فرقة القلب ، وهى بأمرته المباشرة فقد جعلها تتوسط الجناحين ، وتتخذ مواقعها فى أكمات جبل الدحى . وافتتح الجناح الأيسر المصرى المعركة فى فجر يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ٣ سبتمبر ١٢٦٠م ، بسلسلة من الأعمال التعرضية السريعة على مقدمة الجيش المغولى ، بهدف استدراجه الى مدخل وادى الجالوت ، وبالفعل فقد انقض الجيش المغولى على هذا الجناح دون أن يحسب حساباً لفرقتى القلب والجناح الأيمن ، وأغلب الظن أنه لم يراهما ، لاختفاء أولهما فى الجبل ، وآخرهما خلفه . ووفقاً للخطة ، أمطرت كتائب السهام المغولية المصريين بوابل من السهام .

(ثانياً) وعند حدوث الاشتباك بين الجيش المغولى والجناح الأيسر المصرى ، تظاهر الأخير بالتقهقر - وفقاً للخطة الموضوعة مسبقاً - ليأخذ تقهقره شكل دوران على محور ثابت ، وهو جبل الدحى (حيث مقر القيادة وفرقة القلب) حتى إذا ما سد الجناح مدخل الوادى الصغير المتشعب من وادى الجالوت الرئيسى ، فى نقطة افستراق عند الجبل المذكور ، كان الجيش المغولى قد غدا فى الساحة فى مواجهته تماماً .

(ثالثاً) وفى الوقت نفسه كان الجناح الأيمن ، وهو الأكبر حجماً وقوة ، ومعظمه من المشاة ، قد غادر مواقعه الأولى فى الوادى الصغير المشار إليه آنفاً ، ومضى يتقدم فى داخل الوادى الرئيسى ملتفاً من أمام تل القيادة نفسه ، أى جاعلاً هذا الجبل محوراً ثابتاً لحركة (١٠٨) .

(رابعاً) وبغية إيقاف انسحاب الجناح الأيسر (١٠٩) ، وتثبيت الجبهة أمام المغول ، أعطى القائد قطز إيعازة لفرقة القلب بمغادرة مواقعها فى أكمات جبل الدحى ، وتعزيز الجناح المذكور (١١٠) . فهبطت تلك الفرقة ، وبضمنها مقر القيادة ، الى أرض الوادى حيث أبدت من ضروب الشجاعة والاقدام ما أوقف التراجع ، وثبتت الجبهة فى تلك المنطقة تماماً .

(خامسا) وفى الوقت الذى أخذ فيه الجناح الأيسر ، معززا بفرقة القلب ، بالتعرض المقابل على جيش المغول ، كان الجناح الأيمن قد أكمل التفافه على مؤخرة ذلك الجيش فى مدخل الوادى الرئيسى . وبذلك تم الاطباق عليه من جهتى الوادى ، بينما كانت الجبال تطبق على الجبهتين الاخريين .

(سادسا) ساعد على اتمام عملية الالتفاف هذه ، وجود الجيش المغولى فى واد ضيق نسبيا ، مما حد من مجال حركة خيالته ، واضطر للالتحام بقوات المشاة المصرية المسلحة ، والمدرية تدريبيا جيدا على هذا النوع من المعارك الثابتة ، ف (تقاتلوا قتالا شديدا) حتى أبيد من المغول (مالا يحصى عدده) (١١١) . وبحسب التقارير المرفوعة الى هولاكو فان (اكثر التتار قد قتلوا وأسر من بقى) (١١٢) .

(سابعا) لم يستطع المغول تنظيم عملية الانسحاب ، فقد قتل كتبغا اثناء المعركة (١١٣) ، واسر ابنه (١١٤) ، وتششتت القيادة المغولية ، واستطاع القائد (بيدرا) التسلل بعدد من جنوده الى خارج الساحة ، تاركا بقية الجيش يواجه مصيره بنفسه ، ولذا فقد أخذ التقهقر شكلا عشوائيا ، ولم يجد بعض الجنود المغول الا تسلق رؤوس الجبال (١١٥) المجاورة هربا من القتل ، بينما (اعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الموقعة ، فأحذقت بهم العساكر (المصرية) ، وما برحوا حتى أفنوهم قتلا ونجا من نجا (١١٦) . واضطر فوج من خيالة المغول ، الى الاختفاء فى مزرعة للقصب ، بالقرب من ساحة القتال ، فما كان من قطز الا ان أمر جنوده (بأن يضرموها فيها النار ، وأحرقوهم جميعا) (١١٧) .

وما أن حل عصر ذلك اليوم ، حتى انتهت كسل أشكال مقاومة من تبقى من أفراد الجيش المغولى ، فتم أسرهم ، وأعلن اندحار المغول ، وانتصار الجيش المصرى انتصارا ساحقا (١١٨) .

الصفحة الثالثة : المطاردة :

(١) الأهداف : استثمار الفوز بعدم فتح المجال لما تبقى من الجيش المغولى لاعادة تنظيمه من جديد . (٢) اغتنام فرصة تشتت افراد

الجيش المغولى لآبادتهم . (٣) المسارعة الى تحرير سائر بلاد الشام ، من أجل قطع الطريق على هولاء ان هو أراد ارسال اى تعزيزات جديدة لقواته فى المدن الشامية . (٤) تشجيع سكان المدن والفلاحين على الثورة على سلطات الاحتلال المغولى ودفعهم لشن ما يشبه ان يكون (حرب انتصار) ضد فلول الجيش المغولى ، وأية قواعد له (١١٩) .

(ب) سير القتال : (١) بعد توقف القتال فى عين جالوت ، تقدم الجيش المصرى بقيادة قطز ، باتجاه مدينة بيسان (١٢٠) ، وكانت فلول جيش المغول قد وصلت بها بعد اندحارها فى المعركة ، ومن الراجح ان تكون ثمة قوات مغولية كبيرة قد وجدت بها قبل المعركة اصلا . وبينما كانت هذه القوات تحاول اعادة تنظيمها من جديد ، باداها الجيش المصرى بسرعة فى تعرض كبير وصف بأنه (اعظم من الاول) (١٢١) ، الا ان معلوماتنا عنه جاءت قليلة جدا ، ويظهر ان الجيش المغولى حقق تحسنا ملحوظا فى موقفه فى الشطر الاول من القتال (حتى تزلزل المسلمون زلزالا شديدا) (١٢٢) ، الا ان الجيش المصرى عاد قشن تعرضا مقابلا عنيفا قلب فيه الموقف لصالحه تماما ، فهزم المغول (وقتل اكابرهم وعدة منهم) (٢) تقدم قطز بعد بيسان ، سالكا الطريق المحاذى لساحل طبرية الغربى ثم عبر نهر الأردن ، ليصل الى دمشق فى (٤ شوال ٦٥٨هـ / ١٣ سبتمبر ١٢٦٠م) ، وكانت ثورة شعبية عارمة ، قد ظهرت المدينة من السلطة المغولية منذ خمسة ايام اثر وصول انباء هزيمة المغول فى عين جالوت ، فوطد قطز الأمن والاستقرار فيها ، وشرع بالاعداد للمصفحة الثالثة والاخيرة ، من صفحات المعركة وهى طرد المغول من بلاد الشام والجزيرة نهائيا . (٣) وفى دمشق افرز قطز فرقة من الخيالة بقيادة فائده ركن الدين بيبرس ، فتقدم هذا بسرعة حتى وصل الى حمص ، حيث شن هناك تعرضا على حاميتها المغولية ، فقتل فيه ، معظم افرادها ، واسر آخرين ، وفعل مثل ذلك فى حامية حلب ، مما دفع المغول الباقين بالفرار باتجاه ساحل البحر المتوسط الا ان الانتصار هناك قبضوا عليهم ، (فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا) ، على حد قول المقرئ (١٢٣) (٤) حاولت بعض الحاميات المغولية ، فى اقليم الجزيرة ان تعيد الاستيلاء على حلب ، بعد نحو شهرين من انتهاء معركة عين جالوت ، الا ان

اميرا حمص وحماه (ويتبعان الادارة المركزية فى القاهرة) استطاعا دحر التعرض المغولى قرب حمص (١٢٤) ، فاستقرت الاوضاع الناجمة عن معركة عين جالوت ، وجرى دفع المغول الى شرق الفرات (١٢٥) .

نتائج موقعة عين جالوت :

من الثابت تاريخيا أن موقعة عين جالوت احدى المعارك الفاصلة فى العصور الوسطى ، ولها آثارها ونتائجها المتعددة فى التاريخ . (١) من أولى النتائج الفورية لانتصار المسلمين فى تلك المعركة ، أن توقف الزحف المغولى وانحسر ، وانكمش بفضل التضحيات التى بذلها المسلمون فى ذلك الحين ضد عدو متحجر القلب متعاون مع النصارى من أجل القضاء على المسلمين . وبالرغم من مقتل قائد الجيش المغولى فى ساحة الوغى ، فإن هولاء حاول ، أن يخوض معركة أخرى جديدة ، غير أن الظروف كانت قد تغيرت ونعم المسلمون بثمار الانتصار فى معركة عين جالوت الفاصلة .

٢ - من المعروف أن كتبوغا قائد الجيش المغولى الذى قتلته المسلمون فى معركة عين جالوت الفاصلة كان نصرانيا . وأنه يجعل الكلمة العليا للنصارى فى مدينة دمشق قبيل معركة عين جالوت ، وأن النصارى فى دمشق طغوا وبغوا على المسلمين ، حتى أنهم حولوا أحد المساجد فى دمشق الى كنيسة . وللقارىء الكريم أن يتصور مدى ما يمكن أن يحدث لو تم النصر للمغول فى عين جالوت (١٢٦) .

ويعترف مؤرخ نصرانى بذلك فيقول : « ما أحسررزه الممانيك من انتصار ، انقذ الاسلام من أخطر تهديد تعرض له . فلو أن المغول توغلوا الى داخل مصر ، لما بقى للمسلمين فى العالم دولة كبيرة ، شرقى بلاد المغرب . ومع أن المسلمين فى آسيا ، كانوا من وفرة العدد ، ما يمنع من استئصال شافتهم ، فأنهم لم يعودوا يؤلفون العنصر الحاكم . ولو انتصر كتبوغا النصرانى ، لازداد عطف المغول على النصارى ، ولاصبح للنصارى فى آسيا السلطة لأول مرة منذ سيادة النحل الكبيرة فى العصر السابق على الاسلام . على أنه من العبث أن نفكر فى الأمور التى قد تحدث وقتئذ . فليس للمؤرخ الا أن يروى ما حدث فعلا » (١٢٧) .

٣ - إتاح انتصار المسلمين على المغول في عين جالوت الفرصة لإعادة الوحدة السياسية بين مصر والشام ، بعد أن شهدت الساحة السياسية حالة من الضعف ، والتفكك ، والتنازع بالشام بين أبناء صلاح الدين ، مما أدى إلى تمزيق أريطة الوحدة التي بذل من أجلها كل من نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي الكثير من أجل قيامها ، والتي كانت مطلباً أساسياً لمواجهة التحديات التي جابهت المسلمين أمام عدوان النصارى بالغرب الأوربي . وهكذا ضاعت هيبة البيت الأيوبي نظراً لتقاعسهم عن التصدي للمغول ، وعزوفهم عن الجهاد ، بل أن الأمر قد وصل إلى حد تواطؤ بعض أبناء البيت الأيوبي مع المغول ، واشترائهم معهم في معركة عين جالوت ضد اخوانهم المسلمين . وبذلك لم يعد لبني أيوب أي حق شرعي في الملك وجعلهم يبدون في نظر المعاصرين في صورة القوة المتداعية التي لم تعد جديرة بحكم المسلمين (١٢٨) . ويؤيد هذا الرأي مؤرخ نصراني ذكر أن تخاذل ملوك الأيوبيين أمام المغول واستسلامهم ، وقرارهم أمام ذلك الخطر جساء بمثابة تنازل منهم عن ملكهم بعد أن عجزوا عن الدفاع عن ذلك الملك (١٢٩) . ويؤكد على هذا الرأي مؤرخ نصراني آخر معسرياً بأن الأمر الذي لاشك فيه أن معركة عين جالوت ، جعلت سلطنة المماليك بمصر القوة الأساسية في الشرق الأدنى ، في القرنين التاليين ، إلى أن قامت الامبراطورية العثمانية (١٣٠) .

٤ - أفادت معركة عين جالوت العرب ، إذ علمتهم درساً في التكاتف ، والتعاون ضد خطر المغول ، الذي ظهر أكثر من مرة واشتدت وطأة المغول على الشام ، لذلك تعلم العرب المسارعة إلى تحصين أنفسهم بالتضامن ، والسير قدماً في سبيل الجهاد ، وبذلك تمكنوا من تحرير ديارهم من المغول . وهكذا دافع العرب عن مصر والشام ، وخلصت العالم الأوربي ، والمدنية الأوربية من شر لم يكن لأحد من ملوك أوربا وقتئذ طاقة على دفعه .

وهكذا يمكن القول بأن انتصار المسلمين في موقعة عين جالوت ، وقف حائلاً دون غزو المغول لأوربا ، وبهذا جعل أهلها يدركون أن أبناء الشرق العربي قادرون على حماية أنفسهم ، وحماية الحضارة الإنسانية ضد جحافل الهمجية ، والوحشية ، والفوضى .

(مصر قاهرة المغول) .

٥ - امتدت نتائج معركة عين جالوت الى الشعب الايراني الذي تحمل مرارة الغزو المغولي ، وتمكن هذا الشعب من الصمود امام الاعداء النصاري ، وبذلك عادت مراكز الصدارة والزعامة للمسلمين في دولة المغول بايران ، ونجح الشعب الايراني في نشر تعاليم الاسلام بين المغول ، واصبح الاسلام ديناً رسمياً لدولة المغول في ايران . هذا بالإضافة الى ان ازدياد قوة العنصر الاسلامي ، واضعاف العنصر النصرائي ، شجع المغول في غرب آسيا على اعتناق الاسلام ، وعجلت هذه المعركة بزوال الامارات التي اقامها الصليبيون (١٣١) .

٦ - وتوطدت العلاقات بين الحكام المغول الذين اعتنقوا الاسلام في القبجاق ، وبين سلاطين المماليك في مصر ، وساعد ذلك على انتشار الاسلام بين سكان تلك المناطق . وتوثقت اواصر الصداقة بين كبير القبيلة الذهبية في القبجاق وهو « بركة بن جوجي بن جنكيزخان » ، واستقبل بركة عدة سفارات من قبل السلطان المملوكي في مصر ، ولم يكن الخان وحده هو المسلم ، بل كان نساؤه ورجال حاشيته مسلمين . وكان لكل سيدة ولكل امير امام ومؤذن . وكانت مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبيان كثيرة . وقد تزوج « بركة » ابنة السلطان بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧م) . ومن هذا الزواج ولد اول ابن لبركة ، وهو الملك السعيد خان محمد المسمى في الوقت نفسه ناصر الدين بركة خان (١٣٢) .

٧ - منحت معركة عين جالوت مصر مركزاً الزعامة في المشرق الاسلامي ، ونظرت اليها الدول في المشرق نظرة تقدير واحترام ، ولاسيما ان جهودها الفعالة عملت على كسر شوكة كل من العدو الصليبي والعدو المغولي (١٣٣) . وأكد على ذلك مؤرخ نصراني حين قال : « وجد المغول حينما اغاروا على سورية في النصف الاخير من القرن الثالث عشر في مقاومة المماليك وشجاعتهم حاجزاً يتعذر اقتحام ، وانضمت عدة قبائل عربية الى الجيوش المصرية ، فساعدتها على نيل النصر . ولم يتردد بيبرس ، الذي هو اشهر ملوك المماليك البحرية في الظهور بمظهر المدافع عن الاسلام ، على حين لم يفكر امير بآسيا في النهوض بهذا العبء . وكان الظاهر سياسياً محنكاً ، كما كان قائداً ممتازاً » (١٣٤) .

٨ - أصبحت مصر مركز إشعاع للثقافة العربية والإسلامية ، واكتسبت القاهرة مكانة ممتازة من الناحية الأدبية إلى جانب مكانتها السياسية ، لأن القاهرة كانت مكانا آمنا ، هرج اليم العلماء والأدباء ، حيث وجدوا التشجيع والتكريم ، مما حفزهم ذلك على التأليف والتدوين . ذلك لأن القاهرة سلمت من التخريب والتدمير ، الذي تعرضت له بغداد على يد هولاكو (١٢٥٠) .

مجلد الحوادث التاريخية للمعركة

(١٢٦٠هـ / ١٢٦٠م)

الاحد : ١٤ شعبان / ٢٥ يوليو

قرار مجلس الحرب فى القاهرة - قبول المعركة والاعلان عنه
رسميا بقتل رسل المغول .

الاثنين : ١٥ شعبان / ٢٦ يوليو

مغادرة الجيش المصرى للقاهرة .

الثلاثاء : ١٦ شعبان / ٢٧ يوليو

تقدم الجيش المصرى باتجاه الصالحية .

الاربعاء : ١٧ شعبان / ٢٨ يوليو

وصول الجيش المصرى الى الصالحية وتحشده فيها .

الاحد : ٢٨ شعبان / ٨ اغسطس

مغادرة الجيش المصرى الصالحية باتجاه فلسطين .

الاثنين : ٢٩ شعبان / ٩ اغسطس

افراز مقدمة الجيش المصرى بقيادة بيبرس وصدور الاوامر اليه
بالتعرض على غزة .

الثلاثاء : ١ رمضان / ١٠ اغسطس

تقدم بيبرس عبر شبه جزيرة سيناء .

الاربعاء : ٢ رمضان / ١١ اغسطس

وصول نبا مغادرة الجيش المصرى القاهرة الى القيادة المغولية .

الجمعة : ٥ رمضان / ١٤ اغسطس

تعرض بيبرس على غزة واخلأ المغول لها وانسحابهم منها .

السبت : ٦ رمضان/ ١٥ أغسطس

• وصول الجيش المصرى بقيادة قطز الى غزة .

الأحد : ٧ رمضان/ ١٦ أغسطس

• الاستراحة فى غزة .

الاثنين : ٨ رمضان/ ١٧ أغسطس

• مغادرة الجيش المصرى غزة والتقدم نحو عكا .

الجمعة : ١٨ رمضان/ ٢٧ أغسطس

• وصول الجيش المصرى ضواحي عكا .

السبت : ١٩ رمضان/ ٢٨ أغسطس

• بدء المفاوضات بين الجانبين المصرى والصليبيى فى عكا للحصول

• على حياد الجانب الآخر .

الأربعاء : ٢٣ رمضان/ ١ سبتمبر

• وصول نبا تقدم الجيش المغولى من دمشق الى اسماع القيادة

المصرية ومغادرة الجيش المصرى ضواحي عسكا باتجاه

• عين جالوت .

الخميس : ٢٤ رمضان/ ٢ سبتمبر

• وصول الجيش المصرى الى عين جالوت .

الجمعة : ٢٥ رمضان/ ٣ سبتمبر

• معركة عين جالوت .

السبت : ٢٦ رمضان/ ٤ سبتمبر

• انسحاب قلول المغول الى بيسان .

الأحد : ٢٧ رمضان/ ٥ سبتمبر

• وصول أنباء النصر فى عين جالوت الى دمشق وتعرض الجيش

المصرى على مواقع الجيش المغولى فى بيسان/ومعركة بيسان .

- الاثنين : ٢٨ رمضان / ٦ سبتمبر
اندلاع الثورة في دمشق وطرزة او تحفية المغول منها .
- الثلاثاء : ٢٩ رمضان / ٧ سبتمبر
وصول مرسوم من الملك قطز الى اهل دمشق يعلمهم رسميا
بنتائج معركة عين جالوت .
- الأربعاء : ٣٠ رمضان / ٨ سبتمبر
وصول الجيش المصري ضواحي دمشق وتسكره فيها .
- الخميس : ١ شوال / ٩ سبتمبر
افراز مقدمة الجيش المصري بقيادة بيبرس وتقسده شمالا
لمطاردة قلوب المغول في بلاد الشام .
- الاحد : ٤ شوال / ١٣ سبتمبر
دخول الجيش المصري دمشق والاعلان عن تحرير بلاد الشام من
الاحتلال المغولي .

الحواشى

الفصل الاول

- ١ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧١ .
- ٢ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشا ، ص ١١٤ .
- ٣ - المصدر السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .
- ٤ - المصدر نفسه ، ص ١١٧ .
- ٥ - ابرار كريم الدين : من هم التتسار ؟ ترجمة د. رشيدة رحيم الصبروتى ، سلسلة الالف كتاب الثانى ١٤٧ ، ص ٢٦ .
- ٦ - المصدر السابق ، ص ٢٦ - ٢٧ .
- ٧ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشا ، ص ١٣٥ .
- ٨ - النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٧١ - ٧٣ .
- ٩ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٠ - ٧١ .
- ١٠ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٠٩ .
- ١١ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢١ .
- ١٢ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٤ .
- ١٣ - المصدر نفسه ، ص ٥٠ - ٥١ .
- ١٤ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
- ١٥ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٦ .
- ١٦ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٢٥ .
- ١٧ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٣ .
- ١٨ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٠ .
- ١٩ - القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣١٢ .
- ٢٠ - المقبرىزى : الخطط ، المجلد الثالث ، الجزء الاول ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- ٢١ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٣ - ٥٤ .
- ٢٢ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .
- ٢٣ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٣ .

- ٢٤ - بدر محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٨ .
٢٥ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .
٢٦ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٥٧ .
٢٧ - المصدر السابق ، ص ٦٩ .
٢٨ - العرينى : المغول ، ص ٤٠ ، ثم انظر
Howorth : History of the Mongols, Vol. I.p.46.
٢٩ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٩ .
٣٠ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٢٧ .
٣١ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٢٧ .
٣٢ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاي ، ص ١٢٩ ؛
النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٩ ، حاشية ٤ .
٣٣ - الفلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
34. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.46.
35. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.46.
٣٦ - عكاشة : اعصار فى الشرق : جنكيزخان ، ص ٢٤ .
٣٧ - العرينى : المغول فى التاريخ ، ص ٤٥ - ٤٦ ثم انظر :
Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.47.
٣٨ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ .
٣٩ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩ .
40. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.47.
٤١ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٣ .
42. Howorth, Op. Cit. Vol. I. pp. 20-27.
٤٣ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٠ - ٢٠ .
٤٤ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٤٩ .
٤٥ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٩ .
٤٦ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٥ .
٤٧ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٢٨ - ٢٩ .
٤٨ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٤ .
٤٩ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٠ .

- ٥٠ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٤ - ١٥ .
- ٥١ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٢ .
- ٥٢ - العريقتى : المغول ، ص ٤٦ ؛ هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٣ .
- ٥٣ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٣ .

54. Howorth, Op.Cit. Vol. I. p.48.

- ٥٥ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٦ .
- ٥٦ - المصدر السابق ، ص ٣٨ .
- ٥٧ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٠ .
- ٥٨ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٣٩ .
- ٥٩ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣ .
- ٦٠ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٦ .
- ٦١ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- ٦٢ - المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- ٦٣ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٢٠ - ٢٢ .
- ٦٤ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ١٨ - ١٩ .
- ٦٥ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٥ .
- ٦٦ - عكاشة : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٤٧ .
- ٦٧ - المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- ٦٨ - السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاي ، ص ١٣١ ؛
الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨ .

69. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.48.

- ٧٠ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٤ .
- ٧١ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨ - ٢٩ .
- ٧٢ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٦ .
- ٧٣ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٣٤ .
- ٧٤ - عكاشه : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٥٣ .
- ٧٥ - الصيد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨ .
- ٧٦ - كورخان : لقب اتخذه ملوك دولة الخطا لانفسهم ، ومعناه خان

خان آى ملك الملوك • أنظر النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٤٣ ، حاشية ٤ .

77. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.48.

- ٧٨ - عكاشه : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٧٠ .
 - ٧٩ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٥٨ .
 - ٨٠ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٤ .
 - ٨١ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٤ ، ص ٣٠٦ .
 - ٨٢ - المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
 - ٨٣ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٥ .
84. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.62.

- ٨٥ - عكاشه : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٨٣ - ٨٤ .
 - ٨٦ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٢ .
 - ٨٧ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ح ١ ، ص ٢٩ .
 - ٨٨ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٦ - ٧٧ .
 - ٨٩ - عكاشه : اعصار من الشرق - جنكيزخان ، ص ٨٤ .
90. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.62.

- ٩١ - النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٨ ، حاشية ٤ .
- ٩٢ - العدوى : العرب والتتار ، ص ٣٠ .
- ٩٣ - بدر : محنة الاسلام الكبرى ، ص ٧٨ .
- ٩٤ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٨٦ .
- ٩٥ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٦٩ .
- ٩٦ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٨٦ .
- ٩٧ - السباعى عطا ملك الجوينى وكتابه جهان گشاي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩٤ .
- ٩٨ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٤ ، ص ٣٠٥ .
- ٩٩ - حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١١ .
- ١٠٠ - الصياد : المغول فى التاريخ ، ح ١ ، ص ٣٣٨ .
- ١٠١ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٥ .

- ١٠٢ - حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٣ .
١٠٣ - الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
١٠٤ - السباعي : عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشاي ، ص ٢٣٠ .
105. Howorth, Op. Cit. Vol. I. p.49.
١٠٦ - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١٠ .
١٠٧ - العدوي : العرب والتتار ، ص ٣٢ .
١٠٨ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٩١ - ٩٣ .
١٠٩ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٧٢ .
١١٠ - حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .
١١١ - السباعي : عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشاي ، ص ١٤٧ .
١١٢ - الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٦٠ : السباعي :
عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشاي ، ص ١٤٨ .
١١٣ - حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٥ .
١١٤ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٤٠ .
١١٥ - العدوي : العرب والتتار ، ص ٣٤ .
١١٦ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٧٣ .
١١٧ - الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
١١٨ - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١٠ - ٣١١ : العريضي :
المغول ، ص ٦٣ - ٦٤ .
١١٩ - الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .
١٢٠ - السباعي : عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشاي ، ص ٢٣١ .
١٢١ - عكاشه : اعصار من الشرق ، ص ٩٣ .
١٢٢ - حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢١٣ .
١٢٣ - السباعي : عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشاي ، ص ٢٣٧ .
١٢٤ - هارولد لام : جنكيزخان وجحافل المغول ، ص ٧٣ .
١٢٥ - العدوي : العرب والتتار ، ص ٣٨ - ٣٩ .

حواشي الفصل الثنائي

- ١ - العرينى : المغول ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- ٢ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٧ .
- ٣ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١١ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٢٨ .
- ٤ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٨ .
- ٥ - العرينى : المغول ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
6. Grousset : L'Empire des Steppes, p.434.
- ٧ - ابن الوردى : تنمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٢٩ .
- ٨ - العرينى : المغول ، ص ٢٤٧ .
- ٩ - المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
- ١٠ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٤٩ .
- ١١ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٣ .
- ١٢ - أبو الفدا : لمختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
- ١٣ - رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ٢ ، ح ١ ، الترجمة العربية ، ص ٣٠٨ ؛ العرينى : المغول ، ص ٢٥١ .
- ١٤ - الذهبى : دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزهراء ، ج ٧ ، ص ٨٠ .
- ١٥ - العرينى : المغول ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ؛ الصياد : المغول فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .
- ١٦ - الهمذانى : جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، مجلد ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٣٤ ؛ رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ١٢ .
- ١٧ - الصلت : بلدة تقابل أريحا على غور الأردن جنوبى عجلون ، انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٥ .

- ١٨ - بركة زيزا : بركة عظيمة عند قسرية زيزاء ، من قرى المبلقاء ،
أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، مادة زيزاء ، والمبلقاء كورة من
أعمال دمشق ، بين الشام ، ووادي القرى قصبتها عمان . (المصدر
نفسه : مادة المبلقاء) .
- ١٩ - بيت جبريل : ويقال جبرين : بلدة بين بيت المقدس وغزة ، وهي
أقرب الى الأخيرة منهما أنظر : ياقوت : معجم البلدان ١/٧٧٦ ،
ومراصد الاطلاع ١/١٨٥ .
- ٢٠ - اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ١ ح ، ص ٣٥١ ؛ والكتبي : عيون
التواريخ ، ٢ ح ، ص ٢٢٤ .
- ٢١ - الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ١ ح ، ص ٣١٠ ؛ ابن أبيك :
الدرة الزكية ، ص ٤٧ - ٤٨ ؛ المقرئ : السلوك ، ١ ح ، ص
٤٢٧ - ٤٣٩ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ح ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
- ٢٢ - رنيسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، الترجمة العربية ، ٣ ح ،
ص ٥٣٢ .
- ٢٣ - على ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ، ص ٢٢ .
- ٢٤ - الصياد : المغول في التاريخ ، ١ ح ، ص ٣٠٠ .
- ٢٥ - المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
- ٢٦ - حو صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن
السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وكان ورث الحكم في
حلب عن أبيه ١٢٣٦ م ، وكان عمره ست سنوات يوم ذلك ، وأخذ
دمشق ١٢٥٠ م . أنظر : المقرئ : السلوك ، ١ ح ، ق ٢ ، ص ٣٦٦ .
- ٢٧ - عاشور : العلاقات السياسية بين الممالك والمغول في الدولة
المملوكية الاولى ، ص ٣٦ .
- ٢٨ - أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٣ ح ، ص ١٩٩ ؛ ابن
تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١ ح ، ص ٧٤ - ٧٥ .
- ٢٩ - المقرئ : السلوك ، ١ ح ، ق ٢ ، ص ٤١٦ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ، ١٣ ح ، ص ٢١٥ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،
١ ح ، ص ٧٢ - ٧٣ .
- ٣٠ - المقرئ : السلوك ، ١ ح ، ق ٢ ، ص ٤١٨ ؛ ابن تغري بردي :
النجوم الزاهرة ، ٢٧ ح ، ص ٧٣ .

٣١ - عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى ، ص ٣٩ .

٣٢ - يقال أن بيبرس طلب من الناصر عندما كان مقيما عنده ، أن يقدمه أو يقدم غيره على أربعة آلاف فارس ليتوجه بهم الى شط الفرات ليمنع المغول من عبوره ، فلم يمكنه الناصر من ذلك ، ففارقه وقدم الى مصر . انظر : الكنبى : قوات الوفيات ، ح ١ ، ص ٨٦ ، ويقال كذلك أن بيبرس سب الوزير زين الدين الحافظى حينما أشار على الملك الناصر بعدم مقاتلة المغول ، وصاح به قائلا : « انتم سبب هلاك المسلمين » . انظر : السلوك ، ح ١ ، ص ٤١٩ .

٣٣ - كانت الوزارة بجوار القصر الخلافي الفاطمى المعروف بالقصر الشرقى الكبير ، بناها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ويقال أن بدر الجمالى نفسه هو الذى بناها . وكان يكتنح وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الأفضل الى أن زالت الدولة ، وكانت تعرف بالدار الافضلية . ثم استقر بها صلاح الدين الأيوبي ، وابنه العزيز ثم الملك العادل وصاروا يستقونها بالدار السلطانية . وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن قلعة انجبل الملك الكامل بن العادل الذى جعلها منزلا للرسل . فلما ولى قطز ملك مصر ، وحضر اليه المماليك البحرية من الشام خرج قطز للقائهم وأنزل الأمير بيبرس بدار الوزارة . انظر المقرئى : الخطط ، ح ٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

٣٤ - الكنبى : قوات الوفيات ، ح ١ ، ص ٨٦ : المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

٣٥ - الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، ح ١ ، ص ٣١١ - ٣١٣ .

٣٦ - التوسيط هو أن يضرب الشخص بالسيف ضربة تقطعه نصفين وكان هذا النوع من الاعدام شائعا بمصر فى العصور الوسطى .

٣٧ - المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ص ٤٢٩ .

٣٨ - يتضح ذلك من ادخال قطز خيار (الجلاء عن الوطن) ضمن قائمة الخيارات التى قام بتنفيذها على أساس أن لا مكان يمكن اللجوء اليه . انظر الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، ح ١ ، ص ٣١٢ .

٣٩ - يقول ابن تغرى بردى أنهم (أجمعوا على حفظ مصر لا غير)
أنظر : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٨ .

٤٠ - تشير الرواية المغولية (المهدانى ص ٣١٢) الى أن عدد أولئك
الرميل هو أربعون ، بينما تشير الرواية المصرية الى أن عددهم
خمسة ، وسط واحد بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر
بظاهر باب زويلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط
الرابع بالريدانية ، وأما الخامس فقد أبقى عليه ، وضم الى جملة
الماليك السلطانية . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ،
ص ٢٤٩ .

٤١ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٠ .

٤٢ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .

٤٢ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٩ .

٤٤ - المقرئى : المصدر السابق والصفحة .

٤٥ - نفس المصدر ، ص ٤٣٠ .

٤٦ - يشير ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٩٦ الى بعض تفاصيل
تلك الموارد : وهى ١٢/١ من أجرة الأملاك والأوقاف ، ١٢/١ من
أجرة الغيطان والسواقي ، ٤/١ زكاة معجلة من الناس والتجار ،
١ من أموال لترك الأهلية ، أى الترك المستوطنين فى مصر .
وكانوا يمثلون الطبقة الثرية آنذاك ، ودينار واحد بدل نقدى عن
كل رجل وامرأة فى العاصمة .

٤٧ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٩٧ .

٤٨ - فى تعليمات أصدرها قطز الى صاحب حماد ، وهو فى الصالحية
حيث يحتشد الجيش المصرى جاء ما يأتى (لا تحتفل فى مد
سماط ، بل اجعل كل واحد من أصحابك يقطر على قطعة لحم
فى صولفة (مخللة) ، أنظر : ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،
ج ٧ ، ص ٧٨ .

٤٩ - السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٨٣ : ابن واصل :
مفرج الكرب ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

٥٠ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ : ابن تغرى

بردى : النجوم الزاهرة ، ح ٧ ، ص ٧٢ - ٧٣ : ابن اياس : بدائع
الزهور ، ح ٢١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ : ابن واصل : مفرج الكروب ،
ح ٢ ، ص ٣٩٣ : السيوطى : حسن المحاضرة ، ح ٢ ، ص ٣٨ .

٥١ - ذكر ابن اياس : بدائع الزهور ، ح ١ ، ص ٩٦ (أن الملك المظفر
قطز نادى فى القاهرة بأن النفير عام الى الغزو فى سبيل الله) .

٥٢ - المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٠ : الهمذانى : جامع
التواريخ ، م ٢ ، ح ١ ، ص ٣١٣ .

٥٣ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ح ٧ ، ص ٧٧ .

٥٤ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، م ٥ ، ق ١ ، ص ٨٢٠ .

٥٥ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٤ .

٥٦ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٠ .

٥٧ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٦ .

٥٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ح ٧ ، ص ٧٧ .

٥٩ - رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د . السيد البناز
العرينى ، ح ٣ ، ص ٥٣٦ ، ومع أن ابن العبرى أرمنى ومعاصر
للحوادث التاريخية فإنه لم ينوه بوجود قوات من بنى قومه الى
جانب المغول ، ويبدو لنا أن فى الأمر تقليلا متعمدا لحجم الجيش
المغولى من أجل تبرير خسارته فيما بعد ، وتنبؤين أمر ما أحرزه
الجيش المصرى من انتصارات . وهو فرض يبدو معقولا اذا علمنا
بؤلاء ابن العبرى الارمنى للمغول وتعاونهم معهم ، وما تتضح به
مؤلفاته ، وخاصة تاريخه السريانى ، من روح كشف بالعرب لما
تقلبيهم من تنكيل هولاء وجنده .

٦٠ - كان جنكيزخان قد نفذ مع سنتاي نوين ٣٠.٠٠٠ مقاتل عند غزوه
سمرقند ، انظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٤ .

٦١ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٢٦ - ٢٧ .

٦٢ - ان كتبنا من قبيلة النايما ، التى تزوج منها هولاء ، وهو
كمعظم أفراد قبيلته نسطورى المذهب .

٦٣ - الكتبى : عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ، ونبيه
عبد المنعم ، ح ٢٠ ، ص ٢٤٣ .

- ٦٤ — ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥ .
- ٦٥ — المهتار : التاريخ العسكرى ، ٤٧٠ ق م — ١٩٤٥ م ، ص ١٩٢ .
- ٦٦ — ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٩٦ .
- ٦٧ — أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٠٧ .
- ٦٨ — طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ص ١٤٨ — ١٥٨ .
- ٦٩ — المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .
- ٧٠ — قال أبو شامة (فخرج عساكر أهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٧ .
- ٧١ — المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤١١ .
- ٧٢ — ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .
- ٧٣ — عماره : معارك العرب ضد الغزاة ، ص ١٣٠ .
- ٧٤ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣١ .
- ٧٥ — المصدر السابق ، ص ٣٢ .
- ٧٦ — الذهبى : دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
- ٧٧ — الكتبى : عيون التواريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ؛ وفوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٠١ ؛ ووصفه ابن حبشيب : درة الاسلاك فى دولة الأتراك ، بقوله (ملك ، مقدم ، أسد ضرغام ، حسن الخصال ، نافذ السهام ، ماذى النصال ، مبادر الى الطاعة ، مكبر من الصلاة فى الجماعة ، ثابر على جهاد الأعداء ، أشد مثابرة ، وطرد عسكر التتار من الشام ، وكسرهم على عين جالوت كسرة حير بها الاسلام حوادث ٦٥٧ هـ .
- ٧٨ — عاشور : الظاهر ببيرس ، ص ١٦ — ٢٢ .
- ٧٩ — رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٣ .
- ٨٠ — الهمذانى : جامع التواريخ ، ٣١٣ .
- ٨١ — المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .
- ٨٢ — المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .
- (مصر القاهرة المنزل)

- ٨٣ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ح ١ ، ص ٩٦ .
- ٨٤ - المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ص ٤٣٠ .
- ٨٥ - يذكر ابن كثير أن قطز (بادرهم قبل أن يبادروه ، وبرز اليهم ، واقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه) . انظر البسداية والنهاية ، ح ١٣ ، ص ٢٢٠ .
- ٨٦ - رنيمان : الحروب الصليبية ، ح ٣ ، ص ٥٣٥ .
- ٨٧ - المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ص ٤٣٠ .
- ٨٨ - الهمذانى : جامع التواريخ ، ص ٣١٣ .
- ٨٩ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٧ .
- ٩٠ - الهمذانى : جامع التواريخ ، ص ٣١٣ .
- ٩١ - المقرئى : السلوك ، ح ١ ، ص ٤٣٠ .
- ٩٢ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٣٨ .
- ٩٣ - رنيمان : الحروب الصليبية ، ح ٣ ، ص ٥٣٥ .
- ٩٤ - وصف الهمذانى حالة كتبغا عند وصول انباء تحرير غزة اليه (كانه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب . واقبل معتمدا الى اقصى حد على قوته وسطوته . انظر : كتابه ، جامع التواريخ ، ص ٣١٣ .
- ٩٥ - رنيمان : الحروب الصليبية ، ح ٣ ، ص ٥٣٤ .
- ٩٦ - قال اليونينى : (ذيل مرآة الزمان) ، ح ١ ، ص ٣٦٥ (وبعث الملك المظفر الامير ركن الدين بيسبرس البنشقدارى فى عسكر ليتجسس خبر التتر) .
- ٩٧ - ياقوت : معجم البلدان ، ح ٣ ، ص ٧٦٠ ؛ ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، ح ٢ ، ص ٤٠٣ .
- ٩٨ - يشير اطلس اسرائيل Atlas of Isreal ، المطبوع فى الكيان الصهيونى ١٩٧٠م الى خرائب بلدة عين جالوت ، ولكنه لا يسميها باسمها التاريخى ، ويحرف الصهاينة اسم الموضع الى عين حارود En Harod بالسحاء المهملة ، زاعمين انها Harodite او Harodite ، الواردة فى التوراة مع أنه ليس ثمة دليل ، أو قرينة ، تدل على بلدة حارود التورانية مع أنه ليس ثمة أى دليل ،

٢٠ أو ايجاد أصول عبرانية وهمية للمدن العربية في فلسطين امر معروف ، ولا يخفى دأوفعه ، ويلاحظ أن واضعى Atlas of Israel قد أسقطوا اسم (عين جالوت) من الخرائط التاريخية عن الفترة ذاتها ، ولا شك في أن إسقاطها كان متعمداً لأنها تذكر باروع انتصار حاسم حققه العرب ، والمصريون منهم بخاصة ، على أعدائهم في فلسطين . (أنظر رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٠) .

٩٩ - ابن خلدون : العبر م ٥ ق ١ ، ص ٨٢٠ .

١٠٠ - أنظر خمار قسطنطين : أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى ١٩٤٨ م ، ص ٦٠ ، ١٧٦ : المؤلف نفسه : موسوعة فلسطين الجغرافية ، ص ١٦ ، ١٨٨ . وقد أسس الصهاينة عنسد عين جالوت ١٩٢١ ، ١٩٢٩ م مستعمرتين (كيبوتزين) باسم (عين حارود) . أنظر الصائغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

١٠١ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤١ .

١٠٢ - نقل ابن أبيك الدوادارى عن الصارم ازبك ، وكان مشاركاً في المعركة بجانب المغول ، ومتفقاً مع المصريين سرا ، أن هولاكو شكا اليه قلة خبرة أولاده (أى قادة جيشه) الذين سيرهم الى مصر بالبلاد ، بل انه طلب اليه ان يدلهم ، لأنه أخبر ببلادهم . أنظر : كنز الدرر وجامع الغرر ، ح ٨ ، تحقيق أولرخ هارمان ، ص ٥٦ - ٥٧ .

١٠٣ - أنفرد ابن العبرى في تاريخ الدول السرياني ، مجلة الشرق ١٩٥٦ ، ص ١٣٨ بالإشارة الى أن المعركة دارت (تجاه جبل تابور) . وهى اشارة مهمة ، لأن الجبل مازال معروفاً بهذا الاسم حتى اليوم ، وقد دلنا موقعه على طبيعة المناورة التى أجراها الجيش المصرى آنذاك ، وموقعه فى الشمال قليلاً من جبل الدحى المذكور . (أنظر رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٢) .

١٠٤ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٣ .

١٠٥ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٤ .

١٠٦ - تشير أنتوني نتنج (العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام) ،
ترجمة راشد البراوى ، ص ٣٧٣ ، الى أن بيبرس دحر المغول
(بعد أن طبق التكتيك العربى المجرب ، حيث تظاهر بالفرار
واستدرجهم الى كمين من الليران القاتلة) .

١٠٧ - المعلومات عن الجناح الأيسر (الميسرة) وحركته متوفرة نوعا
ما ، أما الجناح الأيمن فلا اشارة اليه فى حوادث المعركة كلها ،
سوى اشارة عامة لكنها مهمة ، أوردها رشيد الدين (جامع
التواريخ ، ص ٢١٤) مفادها أن المغول فوجئوا بالجيش المصرى
ينشق عليهم من ثلاث جهات ، واتضح أنه يعنى الميمنة والميسرة
والقلب . واذا كانت الروايات المصرية لا تشير الى الجناح
الأيمن ، فلأن هذا الجناح لم يدخل المعركة الا فى الساعات
الاخيرة من نهار ذلك اليوم ، ومن المرجح أن صورة الجناح
الأيسر وهو يتقهقر امام التعرض المغولى ، (وهو جزء من الخطة
المصرية) هى التى بقيت فى أذهان أولئك الرواة فسجلوها .
أما الجناح الأيمن فكان متخفيا وراء التل ، وبذلك فلم يتعرض
الى ذكره الرواة الذين استقى منهم المؤرخون معلوماتهم ، وثمة
اشارة مهمة أوردها صاحب كنز الدرر (ص ٥٧) تدل على اهتمام
القيادة المصرية بهذا الجناح بصفة خاصة .

١٠٨ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٦ .

١٠٩ - تشير الروايات المصرية (كتاب السلوك للمقرئى ، ح ١ ، ص
٤٣ ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ح ٧ ، ص ٧٩ ؛ وعيون
التواريخ للكنبى ، ح ٢٠ ، ص ٢٢٧ الى انكسار الجناح المصرى .
بينما لا تشير الرواية المغولية (رشيد الدين ص ٣١٤) الى ذلك
وانما تذكر أن الجيش المغولى استدرج الى كمين . ومعنى هذا
أن انكسار الجناح الأيمن كان مفتعلا ، ومرسوما هدفه اتمام
عملية الاستدراج لا غير ، ولكن بما أن معظم الجناح الأيسر ،
وهو الذى يقوده بيبرس ، مكون من عنصر الخيالة ، فلم يكن
ممكنا لهذا الجناح التوقف عن الانسحاب ، والبسء بالتعرض
المقابل ، الا اذا عزز بتقويات جديدة ، وهنا يتمثل دور القلب .

١١٠ - تذكر الروايات المصرية التى سبقت الاشارة اليها أن قطز لما رأى
انكسار جيشه (أى انسحاب الجناح الأيسر) رمى بخوذته على الأرض

وهتف قائلا (يا اسلاماء) ثلاث مرات . ثم هجم على العدو بنفسه ، فتبعه سائر القادة والجند . وكان ذلك بداية لانتهيار الجيش المغولى كله . ومن المستبعد أن حركة كهذه ، وهتافا مهما بلغت قوته ، لقادر - وسط ضجيج المعركة - أن يصل الى أسماع القادة والجند فى تلك اللحظات الحاسمة ، حتى يبدل سير القتال برمته ، والذي نتصوره أن حركة قطز ، وصيحته كانتا علامة متفقا عليها - فقد كررها فى معركة تالية مع قادته ، وبعض جنوده . اذا ما إن فعل ذلك (حتى انكسر المغول) . والمعقول أن تلك الإشارة كانت ايعازا بتثبيت الجبهة ، وبدء التعرض المقابل (انظر : رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٧) .

١١١ - ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥ .

١١٢ - ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

١١٣ - تجمع الروايات المصرية (السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٠ ؛ والنجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٧ ، وعيون التواريخ ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٧ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٢٤٧ ؛ الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ؛ ومختصر الدول ، تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٣ ؛ وذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٥) على أن كتبغا لقي مصرعه وهو يقاتل ، وأن قاتله هو الأمير أقوش الشمسى . بينما ينفرد رشيد الدين (جامع التواريخ ٣١٥) بالقول أن كتبغا (ظل يكافح ألف رجل الى أن كباية جواده فى نهاية الأمر فأسر) ثم حمل بعدها مكبلا الى قطز حيث دار بينهما حوار أثبت فيه القائد المغولى اخلاصه وتفانيه فى خدمة هولاكو ، واستهانته بالموت فى سبيله . والذي نعتقده أن ما نقله رشيد الدين عن المصادر المغولية هو - فى الواقع - الرواية التى أريد بها أن تصل الى أسماع هولاكو (وفى الغالب فإن ناقلها هو بيدرا) ، وقد سمعها بالفعل ، وتأثر بموقف قائده ، وصهره كتبغا ، وشمل بعطفه من بقى من عقبه وأعزهم وأكرمهم) . انظر : رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٤٨ .

١١٤ - عيون التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ويذكر ابن العميد (أخبار الأيوبيين ص ١٧٥) أن اسم هذا الابن هو (قطلواقفيس) ، وأنه

أسر معه أخو كتبغا قبجق وزوجته () وجماعة كثيرة من أعيانهم
وغنموا منهم غنائم عظيمة .

١١٥ - أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ : ابن
الوردى : تنمية المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

١١٦ - الكتبي : عيون التواريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

١١٧ - رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ٣١٤ .

١١٨ - صبحى عبد الحميد : معارك العرب الحاسمة ، ص ٢٢٢ .

١١٩ - رؤوف : معركة عين جالوت ، ص ٥٠ .

١٢٠ - تبعد بيسان عن عين جالوت بنحو ١٢ كم .

١٢١ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

١٢٢ - المصدر نفسه والصفحة . ويلاحظ أنه حينما كادت كفة المغول أن
ترجح صرخ السلطان نفس صرخته الأولى فى عين جالوت
(والسلامه) ثلاث مرات ، فكانت تلك الصرخات نقطة تحول
فى سير القتال لصالح المصريين .

١٢٣ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٣٥ : الكتبي : فوات الوفيات ،
ج ١ ، ص ٢٣٦ .

١٢٤ - أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢١١ : العرين ، المغول ، ص
٢٦٦ . وتجدر الإشارة هنا الى أن بيبرس حرص - عندما أصبح
سلطانا - على تخليد ذكرى ذلك الانتصار بأقامة نصب تذكارى
فى الساحة التى تم فيها نصر المسلمين على المغول فى عين
جالوت ، وقد أطلق على هذا النصب اسم (مشهد النصر) ،
ويعتبر المثل الوحيد للنصب التذكارية فى الاسلام . أنظر :
سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٣٣ .

١٢٥ - يحدد أبو شامة ساحة التعرض المصرى بأنها (بأرض حمص ...
عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه الى قريب الرستن وذلك
يوم الجمعة خامس محرم ٥٩٦هـ / ٢١ ديسمبر ١٢٦٠م . أنظر :
ذيل الروضتين ، ص ٢١١ .

- ١٢٦ - السيد الباز العرينى : المغول ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .
- ١٢٧ - رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .
- ١٢٨ - سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٣٦ .
129. Grousset : Hist. des Croisades. I.III, p.587.
- ١٣٠ - رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٣٨ .
- ١٣١ - رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٣٨ .
- ١٣٢ - بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- ١٣٣ - مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ، ص ١٦٨ .
- ١٣٤ - سيدىو : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ٤٩٧ .
- ١٣٥ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ؛
والسيد الباز العرينى : المغول ، ص ٢٦٧ .

النصوص التاريخية

١ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

ذكر خبر المصاف (١) الكائن بين السلطان الملك المظفر ومن معه من الجيوش الاسلامية ، وبين جيش التتار على عين جالوت (٢) وانهمزام التتار وقتل مقدمهم كتبغا نوين ، وما يتصل بذلك من اخبار . كتاب « نهاية الأرب في فنون العرب » الجزء ٢٩ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٥ .

لما ملك التتار الممالك الشامية وزالت دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف من الشام - كما قدمنا ذكر ذلك - راسل كتبغا نوين ، مقدم جيش التتار السلطان الملك المظفر ، وأرسل اليه يطالبه ببذل الطاعة ، وتعبئة الضيافة . فقتل الملك المظفر رسله ، الا صبيا واحسدا ، فانه استيقاه ، وضمه الى جملة مماليكه .

واستعد للجهاد ، وخرج بعساكر الديار المصرية ، ومن انضم اليه من جيوش الشام - الذين فارقوا الملك الناصر - ومن حضر اليه من الأمراء البحرية ، والأمراء الشهرزورية ، وغيرهم .

وراسل الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب حمص - وكان قد عاد من جهة هولاكو من حلب - وفوض اليه نيابة السلطنة بالشام أجمع ، وحلب ، وغير ذلك ، والملك السعيد بن الملك العزيز عثمان بن الملك العادل - وكان قد أخذ من هولاكو فرمانا بالصبيبة وبانياس (٣) .

(١) أئ : الموقعة الكبيرة ، أو المهمة .

(٢) عرف يا قوت هذا المكان الذي حصلت فيه الموقعة التاريخية الحاسمة (وقد حدثت بعد عهده) بقوله : « عين جالوت : هي بلدة ، بين بيسان وناپلس ، من أعمال فلسطين » (معجم البلدان : ج٦ ، ص ٢٥٤)

(٣) قلعتان بالقرب من دمشق .

وسألهم المظافرة والمعونة على حرب العدو ، وأن تكون الكلمة واحدة .
ففتوجه رسوله ، واجتمع بالملك البعيد ، فسيه وسب من أرسله ،
وقال : من هو الذى يوافق هذا الصبي ، أو يدخل فى طاعته أو ينضم
إليه ؟! ونحو هذا من الكلام . ففارقه وتوجه الى الملك الأشرف . فخلا
الملك الأشرف بالرسول ، وقبل الأرض بين يديه تعظيما لمرسله . واجلسه
مكانه على مرتبته ، وجلس بين يديه ، وسمع رسالته . وقال له : قبل
الأرض بين يدي مولانا السلطان الملك المظفر ، وأبلغه عنى أننى فى
طاعته وموافقته ، وامثال أمره . والحمد لله الذى أقامه لنصرة هذا
الدين . ووعد أنه ، ان حضر المصاف مع التتار ، انهزم بهم ، الى غير
ذلك ، وأعطى الرسول ذهبا جيدا ، واعتذر له .

فعاد الرسول ، وأبلغ الملك المظفر عن كل من الملكين ما قال له ،
فعامل كلا منهما ، عند ظفره ، بما نذكره . قال : وجمع السلطان الملك
المظفر الأمراء بالصالحية (١) ، واستشارهم : أين يكون لقاء العدو ؟
فأشاروا أن يكون بالصالحية وصمموا على ذلك . فوافقهم فى رأيهم
ظاهرا ، وركب فى صبيحة ليلة المشورة من منزله ، وحرك الكوسات (٢) ،
ودخل الرمل . فأنجزت العساكر خلفه ، ولم يتخلف منهم أحد عنه .
وسار بعساكره ، وجموعه ، حتى انتهى الى عسین جالوت - من أرض
كنعان (٣) ، بالقرب من بيسان ، مدينة غور الشام .

واقبل كتبغا نوبين بجيوش التتار ، ومن انضم اليه . والتقوا واقتتلوا
- وذلك فى يوم الجمعة ، الخامس والعشرين من شهر رمضان ، سنة
ثمان وخمسين وستمائة . وثبت الملك المظفر أحسن ثبات . حكى بعض
من حضر هذه الواقعة قال : كنت خلف السلطان الملك المظفر ، لما التحم
القتال ، ووقعت النجدة الأولى ، فاضطر جناح عسكر السلطان ، وتحتج
طرف منه . فلما رأى الملك المظفر ذلك ، رمى خوذته عن رأسه ، وصاح :

(١) بلدة معروفة بمصر ، فى طرف محافظة الشرقية من الشرق .

(٢) الصنوج التى تدق ، ايدانا بمسير ركب السلطان ، كما تقدم .

(٣) فلسطين .

والسلامة ! وحصل ، فأعطاه الله تعالى النصر . وكانت الدائرة علي التتار ، وأخذهم السيف والاسار . وقتل كتبغا نوين ، فيمن قتل ، وانهزم من سلم من التتار ، لا يلوون على شيء . وكان الامير ركن الدين بيبرس البيهقديري ممن شهد هذه الواقعة ، وأبلى يومئذ بلاء حسنا .

وكان ممن أسر من التتار ، في هذه الواقعة ، كتبغا المنصوري - وهو يومئذ - شلب - وهو الذي ملك الديار المصرية - بعد ذلك - في سنة أربع وتسعين وستمائة ؛ ولقب بالعدل . ووقع في ذلك حكاية غريبة - نذكرها - ان شاء الله تعالى - عند ذكرنا لسلطنة الملك العادل كتبغا .

قال : ولما تمت الهزيمة على التتار ، جاء الملك السعيد بن الملك العزيز الى السلطان المظفر ، مستأمنًا . وكان قد شهد الواقعة مع التتار . فترجل عن قرسه ، وتقدم الى السلطان ليقبل يده . فضربه بقدمه على قمه ، فانهما . وجاء أحد سلاح داريه (١) السلطان ، فضرب عنقه ! وفعل ذلك به ، مؤخذة له على جوابه ، الذي ذكره لرسول السلطان .

٢ - عيد الرحمن بن اسماعيل أبو شامة المقدسي

٥٩٩ - ١٢٠٢/٥٦٦٥ - ١٢٦٧م

تذييل الروضتين ص ٢٠٧ - ٢٠٨ (منها ناشره تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالخيل على الروضتين .

من ذلك كسرة التتار : خرج عساكر أهل مصر مع من انضوى من العرب ، وغيرهم للقصد التتار الذين بالشام ، وملكهم مصر (٢) ، فاجتمع معه خلق عظيم . ولما كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان جاعتا بدمشق الخبير يان عسكر المسلمين ، وقع على عسكر التتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت ، وما قاربها من الليلاد ، فهزموهم ، وقتلوهم ، وأخذوهم ، ومعهم ملكهم كتبغا ققتل ، وأخذ رأسه ، وأسر ابنه ، فانهزم تلك الليلة ، من كان بدمشق

(١) السلاح دار . دار التتوى شقوت اسلحة السلطان . دار بمعنى صاحب .

(٢) يريد : الملك بالجزائريه .

من التاتار (ايل ميان) نائب الملك وأتباعه ، وتبعهم الناس ، وأهل الضياع ينهبونهم ، ويقتلون من ظفروا به منهم ، ولله الحمد والشكر . وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن عبد العزيز بن العادل ، صاحب الطيبة ويانياس ، بقى محبوبا بقلع الشام ، بعد موت الصالح أيوب ، وابنه تورانشاه ، وكسر الفرنج بالديار المصرية ستين كثيرة ، وأخرجها بقلعة البيرة على الفرات ، فلما وصلت التاتار إليها ، أخرجوه ، وصار معهم ، فلما قدم العسكر المصري ، فى هذه الكرة ، قاتل مع التاتار ، فلما وقعت الكرة عليهم ، جاء الى الملك المظفر قطز . وفى ظهر تاريخ الأحد سابع عشرى رمضان ، ورد كتاب ، وهو أول كتاب ، ورد منه - الى أهل دمشق يحبرهم بهذه الكرة اليمونة ، وبموالاة الترحف اليهم بعدها .

٢ المكين جرجس بن السعيد

٦٠٢ - ١٢٠١/١٢٧٢ - ١٢٧٢م

أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥

وفى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، خرج الملك المظفر قطز ، صاحب مصر ، وجميع من وصل اليه من عسكر الملك التاتار ، ومن اجتمع عنده من التركمان ، والشهريزورية ، لقتال كتيغا ، ومن معه من التتار ، واستنقاذ البلاد من أيديهم . وبلغ ذلك كتيغا ، فسار اليه بجن معه من التتار . فالتقت العساكر على عين جالوت ، من أرض كنعان ، قريبا من بيسان ، وتقاتلوا قتالا شديدا عظيما ، فحمل المظفر قطز بنفسه ، ومن معه من العساكر الاسلامية ، فنصرهم الله على التتار ، وقتل كتيغا فى المعركة ، وقتل من التتار مالا يحصى عدده . واستولت المسلمون عليهم ، وأسروا منهم ، ومن نسوانهم خلقا كثيرا ، ومن جملة من أسروا قتلوا قيش ، ولد كتيغا ، وقبجق أخو كتيغا ، وزوجة كتيغا ، وجماعة كثيرة من أعيانهم ، وغتصموا منهم غنائم عظيمة . فكانت كسرتهم يوم الجمعة خامس وعشرين رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وانتهزهم بيدى . ومعهم جماعة من التتار ، ومضوا الى هولاءون ، وأخبروه بذلك .

٤ - غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري

٦٢٤ - ١٢٢٦/٥٦٨٥ - ١٢٨٦م

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٨

فبينما هم في ذلك ، وصل خبر أن قوتوز التركماني الذي تولى مصر ، لما بلغه أن هولأكو رجع الى المشرق ، وكتبوغا بعشرة آلاف فارس في الشام ، استضعفه ، وجمع عسكرا كثيرا ، وخرج التقى به وكسره وقتله واستأسر أولاده ، وكان ذلك في السابع والعشرين (١) من رمضان من سنة ثمانى وخمسين وستمئة .

(٢) تاريخ الدول السرياني

في مجلة المشرق ، السنة ٥٠ ، بيروت ١٩٥٦م ص ١٢٨

أما قوتوز التركي الذي تولى مصر ، فلما بلغه أن هولأكو ابتعد عنه ، وأن الملك الناصر ، قد قبض عليه ، وأرسل اليه ، ولم يبق في فلسطين الا كتبوغا بعشرة آلاف فارس حشد جيوش مصر ، وزحف الى مرج باشان ، تجاه جبل تابور ، وقاثل التتر ، وانتصر عليهم . وقتل كتبوغا ، واستأسر أولاده ، وكان ذلك في ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للعرب (١٢٥٩م) ، فغضب هولأكو ، لما بلغه الخبر ، ونوى أن يستأصل شافة الدولة العربية (١) .

٥ - رشيد الدين فضل الله الهمذاني

١٢٨١/٥٦٨٠م

جاء مع التواريخ ١٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٣ - ٣١٥

في الوقت الذي انصرف فيه هولأكو من الشام أرسل رسولا مغوليا ، وبصحبه أربعون من الاتباع الى سلطان مصر يقول : « ان الله تعالى

(١) ينفرد ابن العبري في تحديد هذا التاريخ ، والذي تجمع عليه المصادر الاخرى ان المعركة التي يشير اليها ، وهى معركة جالوت ، جرت ٢٥ رمضان .

قد رفع شأن جنكيزخان وأسرته ، ومنحنا ممالك الأرض برمتها ، وكل من
تمرد علينا ، ويعص أمرنا ، يقضى عليه مع نسائه وأبنائه ، وأقاربه ،
والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسمع الجميع ، أما صيت
جيشنا الذى لا حصر له ، فقد بلغ الشهرة كقصة رستم ، وأسفنديار ، فإذا
كنت مطيعا كخدم حضرتنا فارسلى إلينا الجزية ، وأقدم بنفسك ، وأطلب
الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال » .

وفى ذلك الوقت لم يكن قد بقى من سلالة آل كامل (الأيوييين) أحد
جدير بالملك . وكان الحاكم رجلا من التركمان . فلما توفى ترك طفلا
صغيرا اسمه محمد ، فاجلسوه على العرش فى مكان أبيه . وكان فطرز
أتابكا له . وفجأة توفى محمد ، وصار فطرز سلطانا لمصر ، فاجتذب قلوب
الناس بالعدل والاحسان .

وكان أكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من
جيش السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ممن هزموا على باب أخلاط ،
فساروا نحو الشام . وكان فى مقدمة أمرائهم بركت خان ، والملك اختيار
الدين خان ابن مكمل ، والملك سيف الدين صادق خان بن ينيكوبوقان ،
والسلطان ناصر الدين كشلو خان ابن ايل أرسلان ، وأطلس خان ،
وناصر الدين قيبرى . وحينما عزم هولاكو خان على المسير الى الشام ،
تواروا فى شتى الأطراف ، ولكنهم عادوا قصتهم ، فطيب خاطرهم ،
وعطف عليهم ، ومنحهم أموالا طائلة ، فانفق جملتهم على أحقيته فى
التملك والسيطرة .

ولما وصل هولاكو خان ، أحضر فطرز هؤلاء الأمراء ، واستشارهم
فى الأمر وقال : « لقد توجه هولاكو خان من توران ، الى إيران بجيش
جرار ، ولم يكن لآى مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على
مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق . ولو لم يبلغه
نعى أخيه ، للاحق مصر بالبلاد الأخرى ، ومع هذا فقد ترك فى هذه
النواحي كيتويوقا نويان ، الذى هو كالأسد الهصور ، والتنين القوى
فى الكمين . وإذا قصد مصر ، فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته ،
فيجب تدبر الأمر قبل فوات الفرصة » .

قال ناصر الدين قيمرى :

« ان هولاء خان فضلا عن أنه حفيد جنكيزخان وان تولوى ،
واخو منكوكا آن ، فان شهرته ، وهيبته فى غنى عن الشرح والبيان ،
وان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر كلها فى قبضته الآن .
وقد اختص بالتأييد السماوى . فلو ذهبنا اليه لطلب الامان ، فليس فى
ذلك عيب وعار . ولكن تناول السم بخداع النفس ، واستقبال الموت
أمران بعيدان عن حكم العقل والعقل . انه ليس بالانسان الذى يطمأن اليه ،
فهو لا يتورع عن اجتزاز الرؤوس ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه
قتل فجاء خورشاه ، والخليفة ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ،
بعد ان أعطاهم العهد والميثاق . فاذا ما سرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا
السبيل » .

فقال قطز : « والحالة هذه ، فان كافة بلاد ديار بكر ، وربيعة ،
والشام ممثلة بالمناحات ، والفجائع ، واضحت البلاد من بغداد حتى
الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع من فيها من حرب ونسل ، فخلت
من الأزواج ، والأبقار والبذور . فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقمنا
بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها من الصلح أو القتال
أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فامر متعذر ، ذلك لانه
لا يمكن ان نجد لنا مفرا الا الغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » .
فاجاب ناصر الدين قيمرى : « وليس هناك مصلحة أيضا فى مصالحتهم
اذ انه لا يوثق بعهودهم » . وقال أيضا بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة
ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك » . عندئذ قال قطز :
« ان الراى عندى هو ان نتوجه جميعا الى القتال . فاذا ظفرنا فهو
المراد ، والا فلن نكون ملومين امام الخلق » .

فاتفق الأمراء بعد ذلك ، ثم اختلى قطز بالبندقدار الذى كان امير
الأمراء ، وشاوره فى الأمر ، فقال البندقدار : « انى أرى أن نقتل الرسل ،
ونقصد كيتوبوقا متضامنين . فان انتصرنا أو هزمنا ، فسوف نكون فى
كلتا الحالتين معذورين » .

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل . وفي الصباح وطدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا في طريقهم .

فارس الأمير بايدر الذي كان في طليعة جيش المغول بغزة الى كيتوبوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحريك جيش مصر . فسرده عليه كيتوبوقا قائلا : « فف مكانك وانتظر » . ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتوبوقا ، وطارده حتى نهر العاصي .

فصار كيتوبوقا كأنه نهر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وأقبل معتمدا - الى أقصى حد - على قوته وسطوته . وكان قطز قد عبأ الجيش في كمين ، وأعدده خير اعداد . ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجند ، وقابل كيتوبوقا مع عدة آلاف من الفرسان ، كلهم من أهل الحرب والمراس - في « عين جالوت » ، ثقف سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ، ولحقت بجنوده الهزيمة .

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيرا من المصريين ، ولكن عندما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على الجنود المغول ، وقتلوهم قتالا مستميتا من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة آخر الامر .

وكان كيتوبوقا يضرب يمينا وشمالا غيرة وحمية ، وكان يكر على أعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه في الهرب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال : « لا مفر من الموت هنا ، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان . وسيصل رجل واحد ، صغيرا او كبيرا ، من أفراد هذا الجيش الى حضرة الملك ، ويعرض عليه كلامي قائلا : « أن كيتوبوقا لم يشأ أن يتراجع وقد كلفه الخجل ، فضحى بحياته الغالية في سبيل واجبه . ينبغي ألا يشق على الخاطر المبارك نيا فناء جيش المغول . وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاما واحدا ، وأن جياد قطعانه لم تلد المهور . فليدم اقبال الملك . ومادامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة ، فانها

تكون عوضاً لكل مفقود ، اذ ان وجودنا وعدمنا نحن العبيد والاتباع امر سهل يسير » .

ورغم ان جنوده تركوه وحده . فقد ظل يكافح ألف رجل الى ان كبا به جواده في نهاية الامر فاسر . وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختم فيها فوج من الفرسان المغول ، فأمر قطز جنوده بان يضرمو فيها النار ، وأحرقوهم جميعاً .

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلاً الى قطز فقال له : « أيها الرجل الناكث العهد . ها أنت - بعد ان سفكت كثيراً من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة - بالأقوال الزائفة المزورة - قد وقعت أخيراً في الشر » .

شعر :

« وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،
انتفض كسائه الفيتل الهائج الثمل
فاجاب قائلاً : « أيها الفخسور المغتر
لا تتباه - كثيراً بيوم النصر هذا »

« فانا اذا قتلت على يدك فاني اعلم ان ذلك من الله لا منك .
فلا تخدع بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العامر ، فانه حين يبلغ
حضرة هولاكو خان ببا وفاتي ، سوف يغلى بحر غضبه ، وستطأ سدابك
خيل المغول البلاد من أذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر
في مخالي خيولهم . الى هناك . ان لهولاكو خان ثلاثمائة ألف فارس
مثل كيتوبوقا . فافرض انه نقص واحد منهم » .

فقال له قطز :

« لا تفخر الى هذا الحد بفرسان توران ، فانهم يزاوالن اعمالهم
بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن اسفان » .

فرد عليه كيتوبوقا :

« أتنى كنت عبدا للملك ما حييت ، ولست مثلك ماكرا ، وغادرا ،
وقاتلا . »

شعر :

« فلا كان رأسى ، ولا كان جسدا للشرير ،
الذى يقتل مليكه »

« بادر بالقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع ثانيك » .

فامر قطز بقتله ففصلوا رأسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول
فى جميع أنحاء الشام حتى شاطئ النهر (الفرات) ، ثم نهبوا معسكر
كيتوبوقا ، وأسروا النساء والأطفال والأتباع ، وقتلوا العمال وحكام
الولايات ، ماعدا عمال دمشق الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا
بالخبر فى تلك الليلة .

ولما بلغ هولاءو خان نيا نعى كيتوبوقا ، وعلم بحسبديته فى ذلك
الوقت ، أسف أسفا شديدا على وفاته ، واشتعلت نيران غضبه وقال :

« أين أجد خادما آخر مثله ، يبدي مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل
هذه العبودية ساعة هلاكه . . . » وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ،
وأعزهم وأكرمهم .

٦ - قطب الدين موسى بن محمد اليونينى البعلبكى

٦٤٠ - ٧٢٦هـ / ١٢٤٢ - ١٣٢٦م

ذيل مرآة الزمان ، (١٥ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦)

فخرج (قطز) يوم الاثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر
مع من انضاف اليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار الذين بالشام . فلما
وصل الى مرج عكا اتصل بكتيغا نوين مقدم عسكر التتر بالشام ، خروج
الملك المظفر ، وكان فى بلد حمص ، فتوجه الى القصور . وبعث الملك
(مصر قاهرة المغول)

المظفر للأمير ركن الدين البندقدارى فى عسكر ليتجسس خبر التتر ، فلما وقعت عينه عليهم كتب الى الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ، ثم انتهز الفرصة فى مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الاسلام ، فلم يزل يستدرجهم تارة بالاقبال وتارة بالاحجام حتى وافى بهم الى الملك المظفر على عين جالوت ، فكانت الواقعة التى أيد الله بها المسلمين على التتر ، وأخذ منهم ثار أهل الوير والمدر ، وحاق بهم مكر السيف ، وحكم فيهم الحتف بالحيف ، وقتلوههم ، وأخسذوهم ، ومعهم ملكهم كتيبغا نوين ، فقتل وأخذ رأسه ، وأسر ابنه ، وكانت الواقعة بين التتر ، والمسلمين على عين جالوت يوم الجمعة خامس وعشرين من شهر رمضان المعظم . ووصل الخبر الى دمشق فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التتار و (ايل سيان) نائب الملك وأتباعه ، وتبعهم الناس ، وأهل الضياع ينهبونهم ، ويقتلون من ظفروا به ، فله الحمد والشكر . وجرد الملك المظفر خلف التتر الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى فتبعهم الى حمص ، وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا ، ورجع الى دمشق .

٧ - اسماعيل بن على ، أبو الفسدا

٦٧٢ - ٥٧٢٢/١٢٧٣ - ١٣٣١م

المختصر فى أخبار البشر ، جزء ٤ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦

وفى هذه السنة (أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت . وكان من حديثها ، أنه لم اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر ، عزم الملك قطز مملوك المعز أيبك على الخروج الى الشام لقتال التتر ، وسار من مصر بالعساكر الاسلامية ، وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماه ، وأخوه الملك الأفضل على . وكان مسيره من الديار المصرية فى أوائل رمضان من هذه السنة . ولما بلغ كتيبغا ، وهو نائب هولاكو على الشام ، ومقدم التتر ، مسير العساكر الاسلامية اليه ، صاحبه الملك المظفر قطز ، جمع من فى الشام من التتر ، وسار الى لقاء المسلمين . وكان الملك السعيد ، صاحب الصببية ابن الملك العزيز بن الملك العادل بن أيوب

صحبة كتبغا ، وتقارب الجمعان في الغوز . والتقوا يوم الجمعة المذكور ،
فانهزمت التتر هزيمة قبيحة . واخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل مقدمهم
كتبغا ، واستؤسر ابنه ، وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال ، وتبعهم
المسلمون ، فافنؤهم . وهرب من سلم منهم الى الشرق ، وجرد قطز
ركن الدين بيبرس البندقداري في اثرهم . فتبعهم المسلمون الى اطراف
البلاد الشرقية . وكان ايضا في صحبة التتر الاشرف موسى ، صاحب
حمص ، ففارقهم . واقره على ما بيده ، وهو حمص ومضافاتها . واما
الملك السعيد صاحب الصببية ، فانه امسك أسيرا ، واحضر بين يدي الملك
المظفر قطز ، فامر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من
السفك والفسق . ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك
المنصور صاحب حماه ، واقره على حماه ، وبارين ، واعاد اليه المعزة ،
وكانت في أيدي الحلبيتيين ، من حين استولوا عليها في سنة خمس
وثلاثين وستمائة . واخذ سلمية منه واعطاها أمير العرب . وأتم الملك
المظفر السير بالعساكر ، وصحبته الملك المنصور صاحب حماه حتى دخل
دمشق . وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم ، فان
انقلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر ، لاستيلائهم على معظم
بلاد الاسلام . ولأنهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ، ولا عسكرا الا هزموه .
فابتهجت الرعية بالنصرة عليهم ، وبقدوم الملك المظفر الى الشام ، وفي
يوم دخوله دمشق ، أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر ، فشنقوا .
وكان من جملتهم حسين الكردي طيردار الملك الناصر يوسف ، وهو الذي
وقع الناحر في أيدي التتر .

٨ - عمر بن مظفر ابن الوردى

ت ٥٧٤٩/١٣٤٩م

تنمة المختصر في أخبار البشر ج ٢ ، ص ٢٩٥

وفيهما كانت هزيمة التتر يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان
على عين جالوت ، وذلك أن العساكر الاسلامية ، لما اجتمعت بمصر ،
سار بهم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك ، لقتال التتر ومعه المنصور ،
والأفضل أخوه ، في أوائل رمضان ، وبلغ ذلك كتبغا ، نائب هولاكو على

الشام ، فجمع من بالشام من التتر ، وسار الى قتال المسلمين ، ومعه صاحب الصببية السعيد بن العزيز بن العادل بن أيوب ، والتقوا في الغور يوم الجمعة ، فانهزمت التتر هزيمة قبيحة ، واخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل مقدمهم كتبغا ، واستئسرا ابنه ، وتعلق من سلم منهم برؤوس الجبال ، وتبعهم المسلمون فافنؤهم ، وهرب من سلم الى الشرق وجرد قطز بيبرس البندقدارى في اثرهم فتبعهم الى اطراف البلاد .

٩ - اسماعيل بن عمر بن كثير

٧٠٠ - ٥٧٧٤/١٣٠١ - ١٣٧٣م

البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١

ان المظفر قطز لما بلغه من أمر التتار بالشام المحروسة ، وانهم عازمون على الدخول الى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام ، يادهم قبل ان يبادروه ، وبرز اليهم ، واقدم عليهم قبل ان يقدموا عليه ، فرج في عساكره ، وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى الى الشام ، واستيقظ له عسكر المغول ، وعليهم كتبغا نوين ، وكان اذ ذاك في البقاع ، فاستشار الاشرف صاحب حمص ، والمجير بن الزكي ، فاشاروا عليه بان لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاء ، فابى الا ان يناجزه سريعا ، فساروا اليه ، وسار المظفر اليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت .

١٠ - الحسن بن عمر بن حبيب

٥٧٧٩/١٣٧٧م

درة الاسلاك في دولة الاتراك

وثابر (السلطان الملك المظفر قطز) على جهاد الأعداء اشد مثابرة ، وطرده عساكر التتار من الشام ، وكسره على عين جالوت كسرة جبر بها الاسلام ، ودخل دمشق فاصلح امورها ، ورد شاربها ونفورها ، واذهب لباس الالباس ، ولم يتعرض الى عرض احد من الناس .

١١ - عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢ - ١٣٣٢/٥٨٠٨ - ١٤٠٦م

العبر وديوان المبتدأ والخبر

مجلد ٥ القسم ١ ، ص ٨٢

واجتمعت عساكر مصر ، واحتشد المظفر بالعرب ، والترکمان ،
 وبعث اليهم بالعطايا ، وأزاح العلل . وبعث كتبغا الى المظفر قطز بان
 يقيم طاعة هولاكو بمصر ، فضرب أعناق الرسل ، ونهض الى الشام مصمما
 للقاء العدو ، ومعه المنصور - صاحب حماه ، وأخوه الأفضل . وزحف
 كتبغا وعسكر التتر ومعه الأشرف صاحب حمص ، والسعيد صاحب
 الصببية ابن العزيز بن العادل . وبعث اليهما قطز يستميلهما ، فوعده
 الأشرف بالانهزام يوم اللقاء ، وأساء العزيز الرد على رسوله ، وأوقع
 به . والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت ، وتحيز الأشراف عندما
 تناسبوا ، فانهزم التتر ، وقتل أميرهم كتبغا في المعركة .

ولقى الظاهر بيبرس المنهزمين في عسكره من الترك ، فائخن
 فيهم وانتهى الى حمص ، فلقى مددا من التتر جاء لكتبغا فاستأصلهم .

١٢ - أحمد بن علي المقرئ

٧٦٩ - ١٣٦٧/٥٨٤٥ - ١٤٤١م

السلوك لمعرفة دول الملوك

ج ٢ ، ق ١ ، ص ٤٢٧ - ٤٣١

وفيها وصلت رسل هولاكو الى مصر بكتاب نصه : « من ملك الملوك
 شرقا وغربا ، القان الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء .
 يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من
 سيوفنا الى هذا الاقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه
 بعد ذلك - يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته ،

بالديار المصرية ، وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ،
خلقنا من سخطه ، وسالطنا على من حل به غضبه . فلکم بجميع البلاد
معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمرکم ،
قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود علیکم الخطأ . فنحن ما نرحم
من بكى ، ولا نرق لمن شكى . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وظهرنا
الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليکم بالهرب ، وعلينا
الطلب . فأى أرض تاويکم ، وأى طريق ينجیکم ، وأى بلاد تحمیکم ؟
فما لکم من سیوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . فخیولنا سوابق ،
وسهامنا خوارق ، وسیوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال .
فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤکم علينا
لا یسمع . فانکم أکلتم الحرام ، ولا تعفون عند الکلام ، وخنتم العهود
والایمان ، وفشا فیکم العتوق والعصیان . فأبشروا بالمذلة والهوان ،
فالیوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستکبرون ، فى الأرض بغير الحق ،
وبما كنتم تفسقون . وسیعلم الذین ظلموا أى منقلب ینقلبون . فمن
طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم . فإن انتم لشرطنا ولأمرنا
اطعتم ، فلکم مالنا وعليکم ما علينا ، وإن خالفتم هلکتکم ، فلا تهلكوا
نفوسکم — بأیدیکم . فقد حذر من أنذر . وقد ثبت عندکم أن نحن الکفرة ،
وقد ثبت عندنا أنکم الفجرة ، وقد سلطنا علیکم من له الامور المقدره
والاحکام المدبره . فکثیرکم — عندنا قليل ، وعزیزکم عندنا ذلیل ، وبغير
الآهنة ما للوکیکم عندنا سبیل . فلا تطیلوا الخطاب ، وأسرعوا برد
الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمى نحسوکم شرارها ،
فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا کافیا ولا حرزا ، وتدهون منا بأعظم
داهیه ، وتصبح بلادکم منکم خالیة . فقد أنصفتناکم اذ راسلناکم ،
وأیفظناکم اذ حذرناکم ، فما بقى لنا مقصد سواکم . والسلام علينا
وعلیکم ، وعلى من أطاع الهدى ، وخشى عواقب الروى ، وأطاع
الملك الأعلى .

فقبض على الرسل ، واعتقلوا ، وشرع فى تحلیف من تخیره من
الأمراء ، وأمر بالمسنیز والأمراء غیر راضین بالخروج کراهة فى لقاء
التتر . فلما کان یوم الاثنين خامس عشر شعبان ، خرج الملك المظفر قطز

بجميع عساكر مصر ، ومن انضم اليه من عساكر الشام ، ومن العرب ،
والتركمان ، وغيرهم ، من قلعة الجبل يريد الصالحية .

وفيه حضر (قطز) رسل التتر ، وكانوا أربعة . فوسط واحسدا
بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط آخر بظاهر باب زويلة ، ووسط
الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية . وعلقت رؤوسهم
على باب زويلة . وهذه الرؤوس اول رؤوس علقت على باب زويلة من
التتار ، وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل ، وجعله من جملة
مماليكه .

ونودي في القاهرة ومصر ، وسائر اقليم مصر ، بالخروج الى
الجهاد في سبيل الله ، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتقدم (الملك المظفر) ، كسائر الولاة بازعاج الاجناب في الخروج للسفر ،
ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع . وسار حتى نزل بالصالحية ،
وتكامل عنده العسكر ، فطلب الأمراء ، وتكلم معهم في الرحيل ، فأبوا
كلهم عليه ، وامتنعوا من الرحيل ، فقال لهم : « يا أمراء المسلمين
الكم زمان تأكلون اموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا
متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختار ذلك يرجع الى بيته ،
فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين » .
فتكلم الأمراء الذين تخيرهم وحلفهم في موافقته على المسير ، فلم يسمع
البقية الا الموافقة ، وانفض الجميع .

فلما كان في الليل ركب السلطان ، وحرك كوساته ، وقال : « أنا
لقى التتار بنفسى » ، فلما رأى الأمراء مسير السلطان على كره ، وأمر
(الملك قطز) الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى أن يتقدم في عسكر
ليعرف أخبار التتر ، فسار (بيبرس - الى غزاة ، وبها جموع التتر ،
فرحلوا عند نزوله ، وملك (هو) غزاة .

ثم نزل السلطان بالعساكر الى غزاة وأقام بها يوما ، ثم رحل من
طريق الساحل على مدينة عكا ، وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا اليه
بتقادم ، وأرادوا أن يسيروا معه نجدة . فشكرهم وأخلى عليهم ،

واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعهم فارس ،
أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين ، يرجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر .

وأمر (الملك قطز) بالأمراء فجمعوا وحضهم على قتال التتر ،
وذكرهم بما وقع بأهل الاقليم من القتل والسبى والحريق ، وخوفهم
وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ، ونصرة الاسلام
والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله ، فضجوا بالبكاء ، وتحالفوا على
الاجتهاد فى قتال التتر ، ودفعهم عن البلاد . فامر (السلطان) حينئذ
أن يسير الأمير (ركن الدين) ببيرس (البندقدارى) بقطعة من العسكر
فسار حتى لقى طليعة التتر . فكتب الى السلطان يعلمه بذلك ، وأخذ
فى مناوشتهم ، فتارة يقدم ، وتارة يحجم ، الى أن وافاه السلطان على
عين جالوت .

وكان كتبغا وببيدرا نائباً هولاًكو ، فلما بلغهما مسير العساكر
(المصرية) ، جمعا من تفرق من التتر ، فى بلاد الشام ، وسارا يريدان
محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها .
فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان التقى الجمعان ، وفى
قلوب المسلمين ، وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس . وقد
امتلاء الوادى ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب
كوسات السلطان والأمراء ، فتحيز التتر الى الجبل . فعندما اصطدم
العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان ، وانتفض طرف منه ، فالقى
الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته :
« والاسلاماه ! » ، وحمل بنفسه ، وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله
بنصره . وقتل كتبغا مقدم التتر ، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز -
وكان مع التتر . وانهزم باقيهم ، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون
ويأسرون ، وأبلى الأمير ببيرس أيضا بلاء حسنا بين يدى السلطان .

ومما اتفق فى هذه الواقعة ، أن الصبى الذى ابقاه السلطان من رسل
التتر ، وأضافه الى مماليكه ، كان راكباً وراءه حال اللقاء . فلما التحم
المقاتل ، وجه سهمه نحو السلطان ، فبصر به بعض من كان حوله فأمسك
وقتل مكانه . وقيل بل رمى (الصبى) السلطان بسهمه ، فلم يخطيء

فرسه ، وصرعه الى الارض ، وصار السلطان على قدميه فنزل اليه
فخر الدين ماما ، وأركبه فرسته ، حتى تحضرت الجناث ، فركب
فخر الدين منها .

ومر العسكر فى أثر التتر الى قرب بيسان ، فرجع التتر ، وصافوا
مصافا ثانيا أعظم من الأول ، فهزمهم الله ، وقتل أكابرهم ، وعدة منهم .
وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدا ، فصرخ السلطان ، صرخة عظيمة ،
سعد معظم العسكر ، وهو يقول : « والسلاماه ! » ثلاث مرات ،
« يا الله ! انصر عبدك قطز على التتار » . فلما انكسر التتار الكسرة
الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ، ومرغ وجهه على الأرض وقبلها ،
وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ، ثم ركب ، فاقبل العسكر ، وقد امتلأت
أيديهم بالغنائم .

فورد الخبر بانهزام التتر الى دمشق ليلة الأحد السابع والعشرون ،
وحملت رأس كتيفغا مقدم التتار الى القاهرة ، ففر الزين الخاقطى ونواب
التتار من دمشق وتبعهم أصحابهم . فامتدت أيدي أهل الضياع اليهم
ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام .

١٣ - عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى

٨٤٩ - ١٤٤٥/٥٩١١ - ١٥٠٥ م

تاريخ الخلفاء ص ٤٧٥

خرج المصريون فى شعبان متوجهين الى الشام لقتال التتار فاقبل
المظفر بالجيش وشاليشة ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فالتقوا هم
والتتار عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشر
رمضان . فهزم التتار هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل
من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ،
ويتنهبونهم ، وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر قطار الناس فرحا ،
ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق غاية المحبة ،
وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم عن البلاد .

١٤ - محمد بن أحمد بن إياس

٨٥٢ - ١٤٤٨/٥٩٢٥ - ١٥٢٤م

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

ج ١ ، ص ٩٦ - ٩٧

جاءت الأخبار بأن حاليش عسكر هولاءكو ملك التتار ، قد وصل الى أطراف دمشق ، ونهبوا البلاد ، وقتلوا العباد ، وأطلقوا فيهم الزناد ، وكان ذلك فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، فلم وصل الخبر الى الديار المصرية ! اضطربت وماجت بأهلها ، وقد بلغهم ما فعله هولاءكو فى بغداد ، وقتله للخليفة المستعصم بالله ، وما جرى منهم فى حق أهل بغداد من القتل والنهب وخراب البلاد ، كما تقدم فى أول التاريخ . ثم ان أميراً من أمراء هولاءكو الذين وصلوا الى دمشق يقال كتبوا ، حضر الى الملك قطز وصحبته أربعة من التتار ، ومعهم كتاب من عند هولاءكو ، وكان مضمونه : من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم ، ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة ، وذكر فى الكتاب سدة سطوته ، وكثرة عساكره ، وما جرى على أهل البلاد منه ولاسيما ما فعله فى بغداد ، وما جرى على أهلها منه . وأرسل يقول : يا أهل مصر ، أنتم قوم ضعاف ، فصونوا دمائكم منى ، ولا نقاتلونى أبدا فتندموا ، وشرع يذكر فى كتابه أشياء كثيرة من هذه الألفاظ الفاحشة اليابسة . فلما سمع الملك المظفر قطز مضمون ما فى كتاب هولاءكو أحضر الأمراء ، واستشارهم فيما يكون من أمر هولاءكو ، فقال الأمراء نجمع العساكر من سائر البلاد ، ونخرج اليه ، ونقاتله أشد ما يكون من القتال . ثم ان الملك المظفر قطز نادى فى القاهرة بأن النفير عام الى الغزو فى سبيل الله تعالى ، ثم انه عرض العسكر ، وأرسل خلف عربان الشرقية والغربية ، فاجتمع من العساكر مالا يحصى ، ثم انه أخذ فى أسباب جمع الأموال ، فأخذ من أجره الأملاك والأوقاف شهراً واحداً ، وأخذ من أغنياء الناس ، والتجار زكاة أموالهم معجلاً ، وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال ، وأخذ على الغيطان والسواقي أجره شهر ، وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء كثيرة ، فبلغ جملة ما جمعه من هذه الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار ، أنفق على

العسكر ، والعربان ، وبرز خيامه الى الريدانية ، فلما كان أواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل ، وهو فى موكب عظيم ، فلما نزل بالريدانية أمر بتوسيط رسل هولاءكو . ثم رحل من الريدانية ، ونزل بمنزلة الصالحية ، وأقام بها الى أن تكامل العسكر ، وجد فى السير الى أن وصل الى عين جالوت من ارض كنعان ، فتلاقى هناك عسكر هولاءكو ، وعسكر السلطان قطز ، فكانت الكسرة على التتار فكسروهم ، وشتتوهم الى بيسان ، وكان ذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم وقعت بينهما وقعة ثانية أعظم من الأولى ، فقتل من التتار نحو النصف ، وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة ، من خيول وسلاح وغير ذلك . فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز نحو الشام فدخلها فى موكب عظيم .

١٥ - بدر الدين محمود العيني

(ت ٨٨٥هـ / ١٢٦٥م)

عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان

الجزء الأول ، ص ٢٤٣ - ٢٤٥

ولما استولت التتار على البلاد الشامية ، وضايقوا الممالك الاسلامية ، ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد الا عسكر الديار المصرية ، اتفق السلطان الملك المظفر قطز مع الأمراء والاكابر على تجهيز العساكر ، وصمموا على لقاء العدو المخدول ، وجمعوا العرسان ، والرجال من العربان وغيرهم ، وخرجوا من القاهرة بأعظم أبهة .

وكانت التتار فى ارض البقاع ، فساروا صحبة مقدمهم كتبغا نوين ، فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت ، فى مرج بنى عامر . فلما التقى الجمعان ، حمل السلطان الملك المظفر بنفسه ، والقى خوذته عن رأسه ، وحملت الأمراء البحرية ، والعساكر المصرية ، حملة صادقة . فكسروهم أشد كسرة ، وقتل كتبغا نوين فى المعركة .

وقتل بعده السعيد بن الملك العزيز لأنه وافقه فى هذه الحركة ، وكان قد أخذ من هلاوون فرمانا باستمراره على ما بيده من البلاد ، وهى

المصيبية ، وإعمالها ، وزيادة عليها ، وحضر مع كتبغا نوين الواقعة ، فلما أنكسر ، وأحضر الى المظفر مستامنا فقال له : كان هذا يكون لو حضرت قبل الواقعة ، وأما الآن فلا ، وأمر به فقتل صبورا .

وقتل أكثر التتار ، وجهزت خيل الطلب وراء من هم بالفرار ، وكان المقدم عليها الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ، فتبع المنهزمين ، وأتى عليهم قتلا ، وأسرا حتى استأصل شسافتهم ، فلم يفلت أحد منهم ، وصادفت طائفة من التتار جاءت من عند هلاون مددا لكتبغا ، فلما وصلت هذه النجدة الى بلد حمص صادفت التتار منهزمين على أسوء الأحوال ، والخيول تجول فى طلبهم كل مجال ، فلم يمكنهم الهرب والفرار ، فكانوا للسيوف غنيمة ، وكانت عدتهم ألفين فلم يبق بهم أثر ولا عين .

وكان أيضا فى صحبة التتار الملك الأشرف موسى صاحب حمص . ففارقهم وطلب الأمان من السلطان الملك المظفر ، فأمنه ووصل اليه فأكرمه ، وأقره على ما بيده - وهى حمص ومضافاتها .

ومما اتفق فى هذه الواقعة أن الصبى الذى استبقاه السلطان الملك المظفر من التتار المرسلين اليه من عند كتبغا ، وأضافه الى المماليك السلطانية ، كما ذكرناه ، كان راكبا وراءه حال اللقاء ، فلما التحم القتال كيز سهما وفوته نحو المظفر ، فبصرته بعض من كان حوله ، فأمسك وقتل مكانه ، فكان كما قيل :

واحذر شرارة من أطفات جمرته
فالتار غرض ولو بقى الى حين

وفى تاريخ النويرى : ضرب ذلك الشاب السلطان بسهم فلم يخطى فرسه ، فوقعت ، وبقي السلطان على الأرض ، فنزل فخر الدين مامى عن فرسه ، وقدمه الى السلطان فركب ، ثم حضرت الجنائب السلطانية فركب فخر الدين منها .

ثم لما فرغ السلطان من كسر التتار ، وانقضى أمر المصافى ، أحسن الى الملك المنصور صاحب حماه ، وأقره على حماة وبارين ، وإعاد اليه

المعرة ، وكانت في أيدي الطنبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وأخذ
السلمية منه وأعطاهما للأمير شرف الدين عيسى بن مهني بن مانع
أمير العرب .

١٦ بيبرس الدواداري (ت رمضان ٧٢٥ هـ)

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة

الجزء التاسع

ذكر كسرة التتار في عين جالوت

(ص ٦٩ - ٧٠)

يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من هذه
السنة (٦٥٨ هـ) استولت التتار على البلاد الشامية ، وضايقوا المسالك
الاسلامية ، ولم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد الا عسكر الديار
المصرية ، اتفق المظفر مع الأمراء والاكابر على تجهيز العسكر وصمموا
على لقاء العدو المخذول ، واستعانوا بالله وجمعوا الفارس والراجل من
العربان وغيرهم ، واستعدوا أعظم استعداد ، ويايعوا الله على
الجهاد ، وخرجوا من الفساحرة بأعظم أهبة ، وأجمل زى ،
وأكمل رهبة ، وقد اخلصوا النيات ، وأصفوا الطويات ، وسار التتار
صحبة مقدم للقائهم فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت ، فلما التقى
الجمعان ، واتصل الضراب والطعان ، حمل المظفر بنفسه ، وألقى خوزته
من رأسه ، وحملت الأمراء البحرية والعساكر المصرية حملة صادقة كانت
للعدو صاعقة فكسروهم أشد كسرة . وقتل كتبغا نوين في المعركة ، وقتل
بعده السعيد بن العزيز لأنه وافقه على هذه الحركة (وكان التتار لما
ملكوا قلعة البيرة وجدوه فيها معتقلا فأطلقوه ، وأعطوه بنياس ، وقلعة
الصبيبة) ، وأعطاه زيادة عليها . وحضر مع كتبغا الواقعة فلما انكسروا
حضر الى المظفر مستأمنا فقال له : كان هذا يكون لو حضرت قبل الواقعة ،
وأما الآن فلا ، وأمر به فقتل صبرا ، وقتل أكثر التتار . وجهزت خيل
الطلب ، وراء من هم بالفرار ، وكان المقدم عليها الأمير الركن بيبرس
البندقداري فتبع المنهزمون وأتى عليهم قتلا ، وأسرا حتى استأصل
شافتهم فلم يفلت أحدا منهم ، وصادف طائفة من التتار منهزمين على

أسوأ الأحوال والخيول تجول فى طلبهم كل مجال فلم تمكنهم الهزيمة فكانوا للسيوف غنيمة . وكان عددهم ألفين ، فلم يبق لهم أثر ولا عين ، وكشف الله هذه الكربة العظيمة ، والبليّة الجسيمة على يد المظفر والأتراك ، الذين شدوا أزره ومكنوا أمره ، وتولى بهم الله نصر الاسلام وخيره . فهذه أول الوقائع التى أبلوا فيها البلاء الحسن ، وأذهبوا عن الاسلام وأهله الحزن وظهرت منهم الشجاعة والياس ، وأعادوا رونق الملك ، وقد حصل منه اليأس ، ودفعوا هذا العدو الشرير الذى أفنى ، وأباد كل من طاوله فى الأمد العريب ، من المدى البعيد ، ولم يتكلوا عن لقائه .

قلت وهذه الواقعة الأولى مع التتار ثانية لما فعلوه بالفريج المخدولين ، فرجوا منهم كرب المسلمين فى نوبة المنصورة (١) ، فقله درهم ، وعلى الله أجرهم .

ومما اتفق فى هذه الواقعة أن الصبى الذى استحياه المظفر من التتار المرسلين اليه عند كتبغا ، وأضافه الى المماليك السلطانية كان راكبا رراه حل اللقاء ، فلما التحم القتال كيز سهما وفوقه نحو المظفر ، فبصر به بعض من كان حوله ، فأمسك ، وقتل مكانه فكان كما قيل :

وأحذر شرارة من أطفات جمرته
فالثار غض ولو بقى الى عين

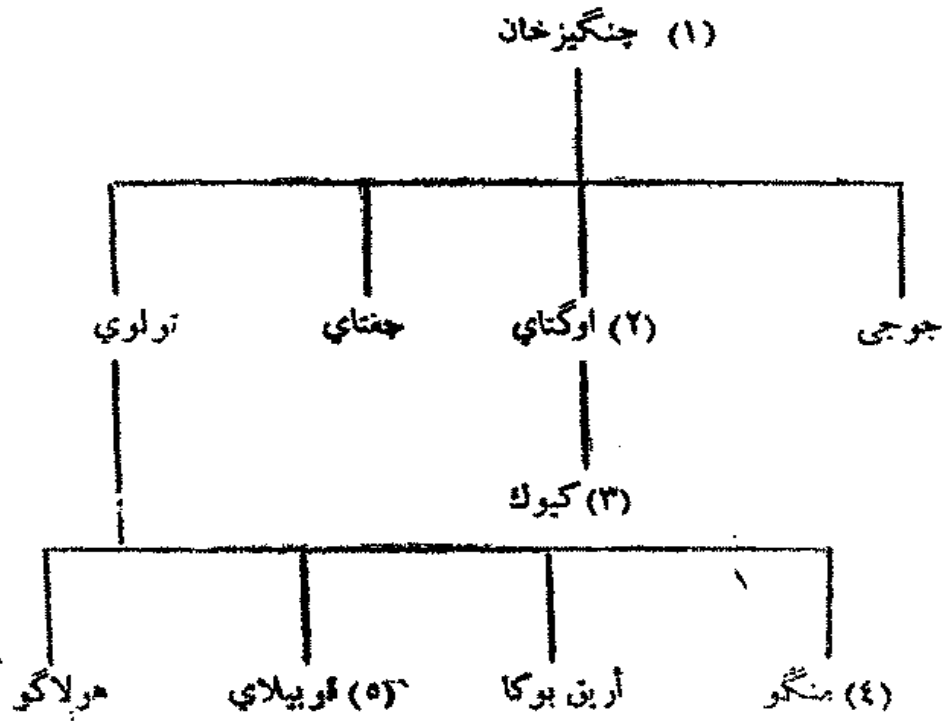
١ ثم سار الملك المظفر الى دمشق ، فدخلها ونظر فى أحوال البلاد ، وحسم مواد الفساد ، وجدد اقطاع الاقطاعات ، بمناشير ورتب بدهشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحى نائبا ونجم الدين أبا الهيجاء بن خشتر بن الكردي ، ورتب علاء الدين صاحب الموصل نائب السلطنة بحلب . وأقر الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماه بها ، وحضر اليه الملك الأشرف صاحب حمص ، فأقبل عليه ، وأقره بما بيده ، ولم يؤاخذه ، وأحضر حسين الكردي الطردار الذى وشى بالملك الناصر الى التتار وأمر بشنقه فشلق جزاء بما فعله من السعاية وتكالا بما جنّاه من

(١) يشير الى هزيمة لميس فى الحملة الصليبية عام ١٢٤٧/١٢٤٩م .

قبيح الجفاية ، وأقام بدمشق نيفا وعشرين يوما ، ثم سار عائدا الى
الديار المصرية .

أولاً - الجداول

خانات المغول



من كتاب الدكتور الصياد « المغول فى التاريخ »

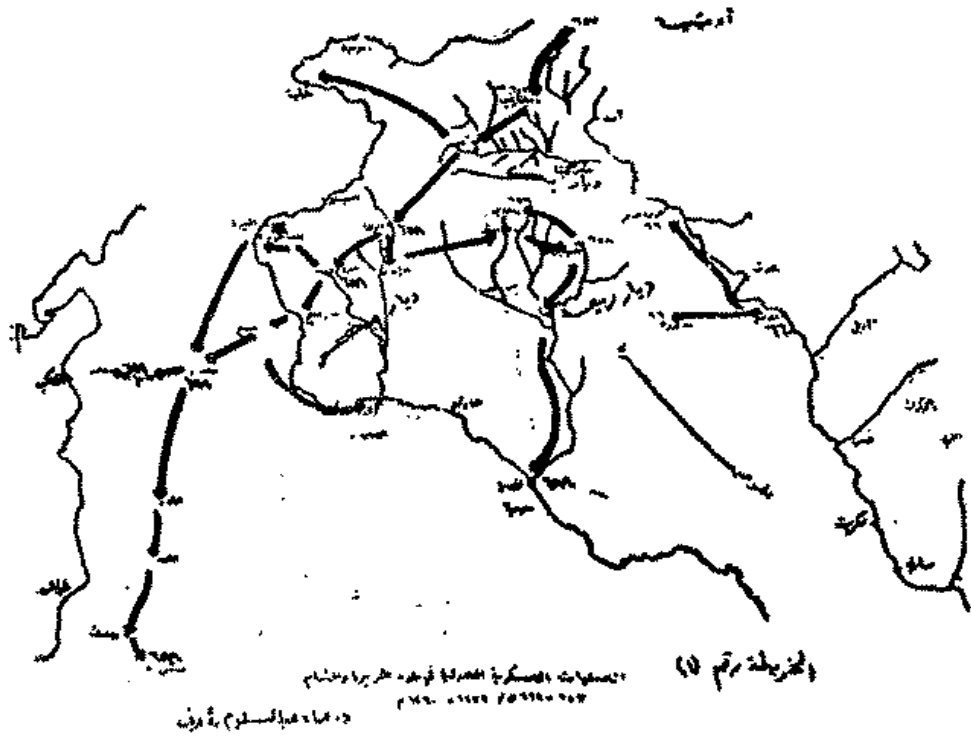
ثانياً - الخرائط

أقاليم الصين في القرن السادس

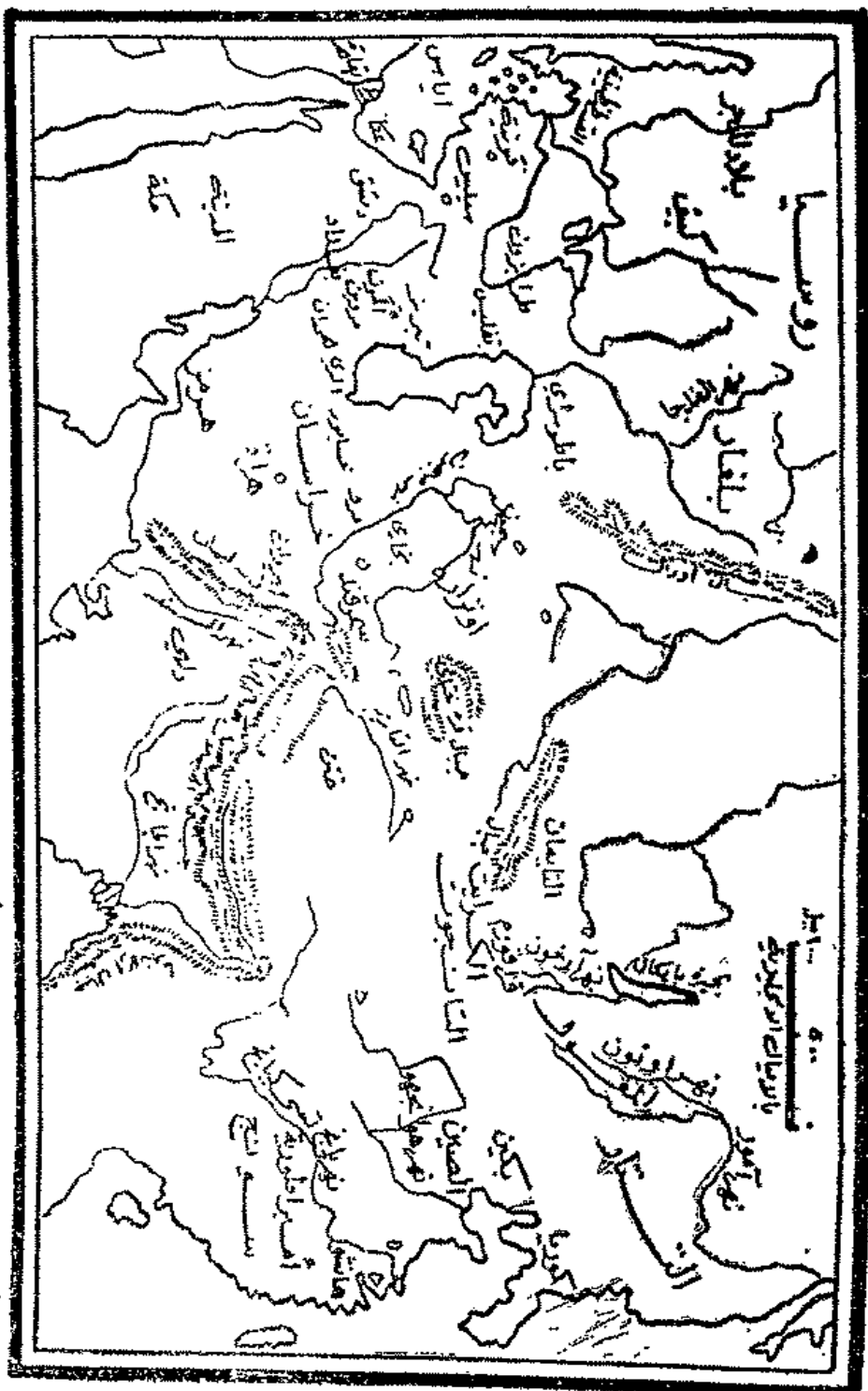


خريطة (١)

من كتاب الدكتور الصياد « المغول في التاريخ »



من كتاب د. رؤوف « معركة عين جالوت »



خريطة (٤) امبراطورية المغول

المصادر

- ابن الأثير : على بن محمد الجزرى الملقب بعز الدين
(ت ٥٦٣٠ / ١٢٣٢ م)
الكامل فى التاريخ
١٢ جزء ، القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ .
- ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد
(ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
الجزء الاول ، القاهرة ١٨٩٤ م .
- ابن ابيك الدوادارى : أبو بكر بن عبد الله
(بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)
كنز الدرر وجمع الغرر ، الجزء الثامن منه المعروف ، باسم الدرّة
الزكية فى اخبار الدولة التركية » . تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ،
١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) ، المعهد الالماني للآثار بالقاهرة .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربى
(ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن أهيم بن أبى بكر
الشافعى (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان
جزءان ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ابن شاکر الکتبى : فخر الدين محمد بن أحمد الکتبى
(ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
فوات الوفيات
١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

- ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل
(ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م)
زيده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
(تحقيق ، بول رافيس Paul Ravisse) (باريس ١٨٩٥ م)
- ابن عبد الحق البغدادي : عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ)
مراشد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع
ثلاثة أجزاء تحقيق على محمد البجاوي
دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) .
- ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملقب
المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨ م) .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل
(ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
البيداية والنهاية
١٣ ، ١٤ (القاهرة ١٣٥١ هـ) .
- ابن الوردي : زين الدين عمر (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)
تنمة المختصر في أخبار البشر (القاهرة ١٢٥٨ هـ / ١٨٦٨ م) .
- أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم شهاب الدين
الشافعي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م)
الذيل على الروضتين
تحقيق عزت العطار الحسيني الدمشقي بعنوان : « تراجم رجالات
القرنين السادس والسابع » (القاهرة ، ١٩٤٧ م) .
- أبو الفداء : اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه
(ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢١ م)
المختصر في أخبار البشر (القسطنطينية ، ١٢٨١ هـ) .

- أبو المحاسن :نجمال الدين يوسف بن تغرى بردى
(ت ٨٧٤هـ / ١٨٩٦م)
النجوم الزاهرة فى ملك مصر والقاهرة
(مصر ١٢٢٩هـ / ١٩٤٠م)
- الدوادار : بيسنبرس
زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة
الجزء التاسع - تحقيق د. زبيدة محمد عطا
(غير معروفة سنة الطبع)
- الذهبى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
(ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
دول الاسلام
الجزء الثانى (حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ)
- رشيد الدين : فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة
(ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م)
جامع التواريخ ، تاريخ المغول
المجلد الثانى - الجزء الثانى
نقله عن الفارسية ، محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوى ،
فؤاد الصياد (القاهرة ١٩٦٠م) .
- العينى :عبد الدين محمود (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان
الجزء الأول حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين
(القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)
- القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشأ - الجزء الرابع
(القاهرة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م)

- المقریزی : تقی الدین أحمد بن علی (ت. ٨٤٥/١٤٤١ م) السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول نشر د. محمد مصطفى زیادة (القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٤ - ١٩٣٩ م) .
- المقریزی : المواعظ والاعتبار فی ذکر الخطط والآثار جزءان (بولاق ١٢٧٠ هـ) .
- النسوی : نور الدین محمد بن أحمد بن علی بن محمد المنشی سيرة السلطان جلال الدین منکبرتی ، نشر وتحقیق حافظ أحمد حمدي (القاهرة ١٩٥٣ م) .
- یاقوت : شهاب الدین أبو عبد الله الحموی الرومی (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) معجم البلدان نشر « وستنفلد » (لیبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م)
- الیوثینی : قطب الدین أبی الفتح موسی بن محمد بن أحمد البعلبکی الحنبلی ذیل مرآة الزمان - الجزء الأول (حیدر آباد الدکن ١٩٥٥ م) .

المراجع

- أبرار كريم الله : (دكتور)
من هم التنار ؟
ترجمة وتعليق د. رشيدة رخير الصيروتى ، سلسلة الالف كتاب
(الثنائى) ، ١٤٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة
١٩٩٤م) .
- احمد مختار العبادى : (دكتور)
قيام دولة المماليك الاولى (الاسكندرية ١٩٨٨م) .
- ثروت عكاشة : (دكتور)
اعصار من الشرق : جنكيزخان ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة ١٩٦١م) .
- حافظ احمد حمدى :
الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى (القاهرة ١٩٥٠م) .
- بارتولد :
تاريخ الترك فى آسيا الصغرى ترجمة د. أحمد السعيد سليمان
(القاهرة ١٩٥٨م) .
- بروكلمان (كارل) :
تاريخ الشعوب الاسلامية ترجمة د. نبه امين فارس ومنير البعلبكي
(بيروت ١٩٤٩م) .
- خمار قسطنطين :
— موسوعة فلسطين الجغرافية (بيروت ١٩٦٩م) .
— أسماء الأماكن والمواقع والمقالع الطبيعية والبشرية والجغرافية
المعروفة فى فلسطين حتى ١٩٤٨م (بيروت ١٩٨٠م) .
- رنسيمان
تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. السيد البار العرينى ، ثلاثة
أجزاء (بيروت ١٩٦٩م) .

- السباعى محمد السباعى : (دكتور)
عطا ملك الجوينى وكتابه جهان كش (القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) .
- سعيد عاشور : (دكتور)
— مصر فى عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة ١٩٦٩ م) .
— الظاهر بيبرس (القاهرة ١٩٦٣ م) .
— الحركة الصليبية ، جزءان (القاهرة ١٩٦٣ م) .
- السيد الباز العرينى : (دكتور)
— المغول (بيروت ١٩٦٧ م) .
— مصر فى عصر الأيوبيين (القاهرة ١٩٦٠ م) .
- سيدو :
— تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة ١٩٤٨ م) .
- صبحى عبد الحميد :
— معارك العرب الحاسمة (بيروت ١٩٨٦ م) .
- الصائغ ، أنيس :
— بلدانية فلسطين المحتلة (بيروت ١٩٦٦ م) .
- عماد عبد السلام رؤوف : (دكتور)
— معركة عين جالوت (بغداد ١٩٨٦ م) .
- فايد حماد عاشور (دكتور)
العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى
(القاهرة ١٩٧٦ م) .
- محمد عمارة :
— معارك العرب ضد الغزاة (بيروت ١٩٧٥ م) .

- مصطفى طه بدر : (دكتور)
محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد
المغول (الجيزة ١٩٦٢ م) .
- نتنچ أنتونى :
العرب : انتصاراتهم وأمجاد الاسلام ، ترجمة د. راشد البراوى
(القاهرة ١٩٧٤ م) .
- هارولد لام :
جنكيزخان وجحافل المغول ، ترجمة مبرى أمين (القاهرة ١٩٦٢ م) .

الفهرس

صفحة

المقدمة ٣

الفصل الأول

(من المغول ؟) ٥

من المغول ٥

جنكيزخان ١٤

جنكيزخان وكتاب الياسا الكبير ٢٧

الفصل الثاني

(معركة عين جالوت الفاصلة) ٣٣

غزو المغول للشام ٣٣

الماليك والتعبئة العامة ٣٨

المعركة ٥٤

نتائج المعركة ٦٤

مجلل الحوادث التاريخية للمعركة ٦٨

الحواشي ٧١

النصوص التاريخية ٨٨

الجداول والخرائط ١١١

المصادر والمراجع ١١٧

الفهرس ١٢٥

رقم الايداع ١٩٩٥/٨١١٥

ISBN. 977-02-5022-8

To: www.al-mostafa.com